



علي جبلي

القبيلة والمجتمع

قراءة في أدوار القبيلة السعودية
المعاصرة وتأثيرها الداخلي



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات

Strategic Fiker Center for Studies

الفهرس

4	تمهيد
6	البعد المفاهيمي والتاريخي للقبيلة في السعودية
6	ماهية القبيلة وخصائص أفرادها
12	القبيلة السعودية والبعد التاريخي
15	القبيلة والدولة القبلية
19	القبيلة السعودية والمجتمع ... الأثر والتأثير
20	القبيلة والصلح المجتمعي
22	القبيلة والعصبية
26	القبيلة والقيم
28	القبيلة والعادات والتقاليد
30	القبيلة والمرأة
31	القبيلة والشيخ
33	القبائل السعودية ... نقاط القوة والضعف
33	أشهر القبائل السعودية
39	العلاقات الداخلية والخارجية للقبائل
40	مستقبل القبيلة في السعودية
41	الحداثة والحد من ظاهرة القبلية
43	الدولة والقبيلة صراع مع الذات أم توافق دائم
47	العادات والتقاليد الضامن الأكبر للحضور القبلي
48	الانتشار الجغرافي للقبيلة
48	الخاتمة
51	المراجع

تمهيد

منذ أن ظهرت البشرية على وجه الأرض ظهرت الحاجات الفطرية؛ كالحاجة إلى الطعام والشراب والسكن والأمن، ومن ثم كانت الحاجة إلى التعاون والتجمع والتحالف بين العديد من الأسر لتحقيق المصالح ودرء المخاطر، فظهرت القبيلة.

وبمرور الزمن بدأت تتجلى مفاهيم السلطة والرياسة والغلبة، وقد تسببت بنشوء صراعات وتحالفات جديدة، ثم ترسخت القبيلة وقوي نفوذها واتسع تأثيرها، وانتقل طموح إنسان القبيلة من التفكير في الوجود إلى التفكير في السيطرة، وعليه فإن الحاجة هي السبب الأول في تشكل هذه القبائل، سواء ما يتعلق بالرياسة والجاه، أو ما يؤمن هذا التصدر من متطلبات العيش والحياة والمجد والغلبة، شرط بقاء القبيلة واستمرارها.

بانخراط العالم العربي بمكوناته الاجتماعية التاريخية المتنوعة في سياقات العصر الحديث، خصوصاً في بداية القرن التاسع عشر، استقرت في قلب مجال الأدبيات السوسولوجية والأنثروبولوجية والتاريخية والسياسية الخاصة به جملة من الإشكاليات العملية والمعرفية، تجمعت تحت عنوان القبيلة، التي يعد موضوعها محورياً في العالم العربي؛ إذ إنه يتحول في كل منعطف تاريخي حاسم إلى ما يشبه الشبح، يحال الناظر أنه موجود ولا يجد ما يبرهن به على وجوده الموضوعي، ويطرده من مخيلته، فيجزم البعض بأنه رآه متلبساً بالأحداث متوارياً في ثناياها⁽¹⁾. هذا على مستوى تلك الدول التي حاولت أن تتجاوز موضوع القبيلة وتحل أجهزة الدولة مكانها، وهذا ما قلل من أثر القبيلة عندها تدريجياً حتى أصبحت لا تُرى آثارها إلا بصعوبة، وبقيت هنالك مجتمعات أخرى لا يزال للقبيلة حضور فيها، وخاصة تلك الدول التي أسست انطلاقاً من تحالف قبلي واسع.

في مجتمع كالسعودية يعد الحديث عن القبيلة شائكاً، خصوصاً أن هناك من يقبلها جملة أو يرفضها جملة، وهذا الذي يرفضها يرى وجوب الانخراط في مجتمع مدني يتجاوز القبيلة تماماً، لكن الواقع أن أهمية القبيلة في السعودية خاصة ودول الخليج عامة، تعود

1 المولدي الأحمر، راهن القبيلة في العالم العربي، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد (15)، شتاء 2016، ص5.

إلى الدور الذي أدته وتؤديه، والنشاط الذي تمارسه، وحجم تأثيرها بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في الدولة والمجتمع من حولها، سواء كان هذا التأثير عن طريق العادات والتقاليد والقيم والأعراف، أو الجهود التي تتم عبرها في التكافل الاجتماعي والإصلاح المجتمعي، أو غير ذلك من الأدوار الملموسة للقبيلة.

جاءت هذه الدراسة لقراءة حقيقة القبيلة المعاصرة في السعودية، والدور الذي تمارسه في الوعي الجمعي والثقافة العامة والتنشئة الاجتماعية، وحجم تأثيرها المجتمعي، سواء ذلك التأثير الإيجابي الذي يسهم في تعزيز القيم العامة ولا يتعارض مع قيم القبائل الأخرى، أو التأثير السلبي المتمثل في ظاهرة العصبية كأحد الإفرازات الطبيعية لهذا المكون، مع الإشارة إلى أنه لا علاقة هنا بأصول القبيلة وأنسابها، ولا تاريخها وأمجادها؛ فليس هذا مجال البحث.

وتجدر الإشارة إلى أن الأبحاث المتعلقة بدراسة التأثير المجتمعي للقبيلة السعودية محدودة، وبعض الدراسات تتناول أنساب القبائل أو أدوارها التاريخية، سواء قبل الإسلام أو في الصدر الأول للإسلام، أو دراسة الشأن الاجتماعي السعودي المتعدد، وقليلة هي تلك الدراسات المعنية بالتأثير المجتمعي للقبيلة السعودية، ومن ثم كان هدف الدراسة أن تعيد قراءة هذا الموضوع من خلال أربعة محاور رئيسية، يأتي المحور الأول منها للتعريف بالقبيلة عموماً والقبيلة في السعودية خصوصاً، وتبعدها التاريخي ومميزاتها، يليه المحور الثاني الذي يدرس علاقة القبيلة السعودية بالمجتمع وتأثيرها فيه إيجاباً أو سلباً، والمحوران الأولان أقرب إلى المنهج الوصفي منهما إلى التحليلي، إذ هما مخصصان لسرد حالة قائمة كما هي، إلا ما يستدعي التوقف عنده، كما سيتضح خلال هذه الدراسة، ثم يأتي المحور الثالث ليناقد أشهر تلك القبائل، ونقاط قوتها وضعفها؛ من خلال أنشطتها القائمة وعلاقتها بالمجتمع، أما المحور الرابع فيناقش مستقبل القبيلة في السعودية بعد ذكر نتائج الدراسة، والمحوران الأخيران يبرز فيهما الجانب التحليلي بناء على قراءات واستنتاجات تعود إلى المحورين الأولين.

البعد المفاهيمي والتاريخي للقبيلة في السعودية

يعود مفهوم القبيلة إلى مصطلح المؤسسات السياسية في الحضارة الهندوروبية القديمة، وهي في هذا الإطار كانت تمثل الشكل الاجتماعي والسياسي السائد قبل ظهور المدينة والدولة، وهو نموذج مرت به كل المجتمعات البشرية، بحيث يعطى للقبيلة محتوى سياسي ووظيفي فاعل ويعدها في هذا الإطار ذات دور تعبوي واستقطابي⁽²⁾.

والقبيلة في الدراسات الأنثروبولوجية تعد شكلاً من أشكال التجمعات البدائية التي تبلورت في عصر ما قبل التاريخ، لذا ركزت هذه الدراسات على خلع صفة البدائية التي تبلورت في عصر ما بعد التاريخ، ولا سيما في دراسة القبيلة في المجتمعات البشرية في آسيا وإفريقيا وأمريكا الجنوبية⁽³⁾، ولهذا تعددت تعاريف القبيلة بتعدد الوظائف التي تمارسها، نظراً لأهميتها، ثم لكونها الأصل الأول لأي تجمع بشري؛ اجتماعياً كان أو سياسياً.

ماهية القبيلة وخصائص أفرادها

تتنوع تعاريف القبيلة لتنوع زوايا النظر إليها، وتتعدد مفاهيمها لتعدد أدوارها، إذ إنها في أحد تعريفاتها: نسق في التنظيم الاجتماعي يتضمن عدة جماعات محلية، مثل القرى والعشائر، وتوطن إقليمياً معيناً، ويكتنفها شعور قوي بالتضامن والوحدة يستند إلى مجموعة من العواطف الأولية.

وفي تعريف آخر: القبيلة هي تجمع كبير أو صغير من الناس يشغلون إقليمياً معيناً، ويتحدثون اللغة نفسها، وتجمعهم علاقات اجتماعية خاصة متجانسة ثقافياً.

وفي تعريف ثالث: القبيلة هي وحدة متماسكة اجتماعياً ترتبط بإقليم، وتعد في نظر أعضائها ذات استقلالية سياسية.

فهذه التعاريف الثلاثة تركز على مركزية القبيلة وتجمعها البشري، ثم بعد ذلك يناقش كل

2 عبد المولى بابي، مفهوم القبيلة، موقع مغرس، (4/6/2011)، تاريخ الاطلاع: (9/1/2019). <http://cutt.us/v7bAm>

3 فايد العليوي، القبيلة التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، الطبعة الأولى، 2018، ص 19.

تعريف خاصة متعلقة بالقبيلة، فالمفهوم الأول يناقش المكتسبات التي تحققها القبيلة، وخصوصاً تلك المكتسبات الكبرى المتعلقة بالوحدة والتضامن، في حين أن المفهوم الثاني يتناول مرتكزات القبيلة المتعلقة بالإقليم واللغة والرابط الاجتماعي، أما المفهوم الثالث فهو يذهب إلى زاوية أبعد من ذلك تماماً ويركز على مسألة الاستقلال، وهو مفهوم يبدو قديماً، ويعرف القبيلة من خلال وضعها قبل الدولة عندما كانت تمثل تجمعاً خاصاً بها.

جان بيشلر يعرف القبيلة بأنها: «شكل انقسامي للتنظيم الاجتماعي يتكون من أقسام قاعدية يمثل كل منها أسرة ممتدة في عمق ثلاثة أو أربعة أجيال، وكل قسم قاعدي يلتحم تلقائياً مع قسم آخر كلما شعر بتهديد أو خطر، وشيئاً فشيئاً يمكن أن تتحد القبيلة بأسرها، أو مجموعة قبائل، في مجموعة مؤقتة لمواجهة عدو خارجي»⁽⁴⁾.

بيشلر هنا يذهب إلى ما هو أبعد من التعريف، وهو البحث عن فلسفة القبيلة نفسها، وأسباب نشوئها، ويرى بأن السبب وراء تكون القبيلة هو الشعور بالخطر، أي إن ما يجعل مجموعة من الأسر تتحد فيما بينها وتتقارب هو الخوف من عدو حقيقي أو متوهم، والشعور بضرورة الاتحاد وخطورة التباعد.

قريباً من فلسفة بيشلر للقبيلة وأسباب حدوثها كانت فلسفة ابن خلدون؛ إذ يرى أن التجمع القبلي في أماكن معينة إنما هو أمر فرضته الحاجة إلى الاستمرار في الحياة، إذ جاء من أجل التعاون لتحصيل القوت والضروريات من أجل البقاء، كما أن اعتمادهم على الحيوانات ومنتجاتها هو الذي حدا بهم إلى سكنى البراري والقفار، كما أن ظروف الحياة القاسية وحدت بينهم، ودعت إلى نشأة علاقات وثيقة فيما بينهم تتمثل في دفع الخطر الذي قد يتعرضون له وصد المعتدي، أو شن غارات على مناطق أخرى لتأمين سبل العيش وتوفيره⁽⁵⁾.

وهكذا يلاحظ أنه رغم انتشار مفهوم القبيلة واتساع استخدامه فلم يتفق الباحثون في

4 محمد نجيب بوطالب، سوسولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002، ص56-55.

5 سعيد فالخ الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، 1990، ص8.

العلوم السياسية والاجتماعية على تحديد معنى ودلالة القبيلة، ولعل من الأسباب التي أدت إلى هذا الاختلاف:

أولاً: الخلط بين القبيلة والإثنية لدى البعض، أو بين القبيلة ووحدات اجتماعية أخرى.

ثانياً: تعدد زوايا النظر إلى القبيلة؛ فمنهم من ينظر إليها من زاوية إيجابية؛ بصفتها مكوناً اجتماعياً له خصائصه وعاداته الخاصة، وآخرون يرون أن القبيلة عبارة عن ترسبات ما قبل الدولة، وبناء عليه فالقبيلة لا تعدو أن تكون خليطاً من العادات الخاطئة غير القابلة للتعايش مع الآخرين. وهناك من يعرفها بوظائفها مجتمعة أو بجزء منها.

ثالثاً: الربط بين القبيلة والبداءة في بعض التعاريف، ولا يلزم أن يكون القبلي بدوياً، لأن البداءة نمط من الحياة الاجتماعية تتسم بالترحال، بخلاف القبيلة التي هي أصل وانتماء ترتبط برابطة الدم أو التناصر، سواء كان أفرادها بدوياً رحلاً، أم مزارعين مستقرين، أم يعيشون في المدن في الوقت الحاضر، فإذا كانت البداءة تفيده نمطاً للحياة ورؤية للعالم والأشياء، وتتسم بالشدة والكفاف والترحال، فإن القبيلة تفيده الهيكل الاجتماعي الذي تلتف بموجبه أسر عديدة على عصب واحد خضوعاً لرابطة الدم أو التناصر⁽⁶⁾، ومن ثم فإن القبيلة لا يشترط فيها أن تلتزم بحياة البدو.

ونتيجة لتعدد معاني القبيلة، وتضاربها أحياناً، يذهب بعض الدارسين إلى أن ظاهرة القبيلة تستعصي على التعريف، وذلك بفعل اختلاف المورفولوجيات وأحجامها، واختلاف نوعية التماسك بين مكوناتها⁽⁷⁾، لكن مع هذا فإن للقبيلة ملامح قد تُحددها وسمات تعرف بها، ومنها:

أولاً: توفر المكونات الرئيسية للقبيلة المتمثلة في: المكان المحدد، واللغة الواحدة، والحضارة الواحدة، فإذا فقد واحد من هذه المكونات فقدت القبيلة شرطاً أساسياً من شروط وجودها.

6 محمد بن صنيتان، السعودية السياسي والقبيلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008، ص32.

7 عبد الله حمودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد (19)، 2017، ص19. <http://cutt.us/Qn1Z2>

ثانياً: أن تسود بينهم مظاهر التعاون والود والتماسك الاجتماعي، ويقوم شعورهم بالانتماء إلى المجتمع الواحد، ومن أبرز سمات هذا التماسك الاشتراك في الطقوس الدينية.

ثالثاً: تضم القبيلة عدة تنظيمات شكلية تعمل على تأكيد وحدتها وتماسكها الاجتماعي، ومن ثم تحافظ على كيانها واستمرار وجودها.

رابعاً: الشكل القبلي يتميز ببساطة التركيب؛ سواء كان ذلك من حيث عدد السكان أو كثافتهم أو بالنسبة لحركة الهجرة الداخلية والخارجية، أو عدد المؤسسات الاجتماعية.

خامساً: تؤلف وحدة اجتماعية وسياسية واقتصادية متكاملة تميل إلى أن تكون مجتمعاً مغلقاً على نفسه ولا يتصل اتصالاً وثيقاً بالخارج من الناحية الثقافية، حتى بالنسبة للقبائل المجاورة، إلا في حدود ضيقة⁽⁸⁾.

سادساً: رابطة القرابة، فأبناء القبيلة مجموعة من الناس ينتمون إلى أصل مشترك سواء كان هذا الانتماء حقيقياً أو وهمياً، ومع هذا إلا أن القبيلة لا يمكن إرجاعها إلى صلة القرابة وحدها، ففي القبيلة أولئك المنحدرون من صلب واحد وهم الصرحاء، وفيها من لا ينتمي إليها كالموالي ممن كانوا عبيداً عند القبيلة، والمستلحقين وهم الذين أحقوا بالقبيلة ممن ليس منها، وهذا مما كان معمولاً به في التاريخ العربي.

أما ما يتعلق بتكون القبيلة وفلسفة نشأتها فكثير من الدارسين يركزون على موضوعي الحاجة إلى الطعام والشعور بالخوف، وربما يكونان السببين الرئيسيين لنشوء القبيلة أو تجمع قبلي واسع، ومما هو واضح أن القبيلة تزدهر وتلقى رواجاً واسعاً في حال غياب الدولة أو ضعفها، ورواجها يُحدث حالة من التخلف في النمو الاجتماعي والحسين لعصر ما قبل الدولة، والتعصب لمحض التعصب، ولهذا تتنامى النزعات القبلية إذا بدأت حالة من الاضطراب تصيب بعض الدول التي تعود أصول مواطنيها لقبائل متعددة.

تأسيساً على هذا فإن التعريف الذي يقدمه مسعود ضاهر للقبيلة يبدو شاملاً؛ وهو أن «القبيلة تعبير يطلق على مجموعة بشرية ذات لغة أو لهجة مشتركة، بصرف النظر عن استقرارها على أرض ثابتة، أو ترحالها من مكان إلى آخر، فالقبيلة مجموعة بشرية متنقلة

8 سعيد فالخ الغامدي، مرجع سابق، ص 10.

أو مقيمة على أرض محددة، صحراوية في الغالب، وتقيم بين أفرادها علاقات خاصة قائمة على التقاليد والأعراف المتوارثة، فهي إذن مجموعة بشرية متماسكة، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً، وذات شخصية مميزة تتحدد بها قياساً على باقي التجمعات البشرية الأخرى، سواء في المدينة أو الأرياف أو حتى القبائل المجاورة»⁽⁹⁾، وهو بهذا التعريف جمع بين مركزية القبيلة وتجمعها من جهة، وبين مكتسباتها ومرتكزاتها واستقلالها من جهة أخرى.

إنسان القبيلة يتمتع بجملة من الخصائص والسلوكيات، منها الإيجابي ومنها السلبي، كما يرى إياد بن أمين مدني، ومن هذه الخصائص نظرة الاحتقار إلى العمل اليدوي، فالإنسان القبلي يعيش عادة على الطبيعة، وتتولد لديه نظرة الاحتقار للأعمال اليدوية والمهنية، وبالذات تلك التي تبدو في ظاهرها كأنها خدمة للآخرين. والإنسان القبلي يهتم عادة بمظهر العمل الخارجي أكثر مما يهتم بقيمته الحقيقية أو بمدى مردوده عليه أو على المجتمع أو على المنظمة، لهذا فهو يفضل الأعمال التي تضيف عليه مظهراً خارجياً يوحي بالقوة أو يوحي بأنه أمر أو متنفذ، ومن هنا يفهم ولع بعض رجال القبيلة وإقبالهم على مهنة السياقة مثلاً؛ لأنها قيادة، أو العمل في الشرطة؛ لأن الشرطي ذو مظهر محترم، يصدر الأوامر ويتحكم في حركة السير بكاملها.

الإنسان القبلي كذلك لا يضع في الواقع فاصلاً بين كرامته الشخصية وبين كرامة القبيلة بكاملها، فالكرامة الشخصية ترتفع لدى الإنسان القبلي إلى المرتبة الأولى، وبعدها يمكن أن تأتي القضية التي يناضل من أجلها كالتنمية، ثم تأتي المبادئ والقوانين، وأي مسائل أخرى من هذا القبيل، وإن الإفراط في الإحساس بالكرامة الشخصية على الطريقة القبلية قد لا يترك لدى الإنسان القبلي أحياناً مكاناً للإحساس بكرامة الوطن.

والإنسان القبلي كريم جداً، فالقبائل لم تكن في الغالب تملك شيئاً من أجل التخزين للمستقبل، فهي لم تتعود أصلاً على أن تنظر إلى المستقبل، إضافة إلى أن إنسان القبيلة كما يرى في الشؤون العامة شؤونها الخاصة، فهو أيضاً يرى في الملكيات العامة في القبيلة، مثل الأرض والمراعي والحياة، ملكيته الخاصة.

9 مسعود ضاهر، المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986، ص30.

ومن سلوكيات إنسان القبيلة ميله إلى الحسم، والبت في المسائل، أياً كان نوعها، فإذا لم يكن البت السريع بالطريقة الصحيحة ممكناً، فليكن البت السريع ولو بطريقة خاطئة، فالقبائل لم تتعود على أن تناقش كثيراً، ولا أن تحقق كثيراً، ولا أن تضع حلولاً ذات مدى طويل من أي نوع كان.

والقبلي يميل إلى التعصب للمجموعة التي يعيش معها، أو ينسجم معها ويرتاح إليها، والتي تتعصب له هي الأخرى، لأن هذه المجموعة تحمل في أعماق نفسه وفي شعوره الداخلي محل القبيلة أو العشيرة، التي ينتمي إليها، وكان يعيش معها في الماضي القريب، كما يستهويه الإصرار على الرأي، وعدم التراجع عن الخطأ، ذلك لأن القبيلة عادة تقدر القوة والإصرار والعناد تقديساً مجرداً، وبصرف النظر عن الموضوع والنتائج.

كذلك فإن القبلي إنسان شديد الحساسية، وهو لا ينسى الإهانات، ولا المحاسبات والانتقادات الشديدة التي قيلت في حقه، سواء أكانت صحيحة أم خاطئة، وهذه الحساسية بقية من بقايا عقلية الثأر الذي تتوارثه القبيلة جيلاً بعد جيل.

إضافة إلى ذلك فالقبلي إنسان عاطفي للغاية، وسريع التأثر، وحتى المسائل العامة والقضايا الكبرى تظل بالنسبة إليه متأثرة إلى حد كبير بالجوانب العاطفية في شخصيته، فهو يصدق بسرعة كبيرة جداً، ويكذب بسرعة كبيرة جداً، يعطي ثقته الكاملة على أتفه الأسباب، ويوافق بسرعة، ويعارض بسرعة، ويحدد مواقف من قضايا كبيرة لأسباب بسيطة⁽¹⁰⁾.

والإنسان القبلي يقدم جانب الإطراء على النقد، فأني نقد يعد هجاء، ومن ثم فإن التعامل في إطار القبيلة، وخاصة لطلب صلح أو دفع ضرر، لا بد أن يتقدمه مدح القبيلة وتاريخها.

وعلى هذا تبدو القبيلة مقبولة ومرغوبة، والذي يجعلها مقبولة ومرغوبة أكثر هو أنها بسيطة بدائية، وعميقة ومنغوسة في أعماق الوجدان الإنساني، انغراساً لا يمكن معه

10 إياد بن أمين مدني، مفهوم القبيلة فكرة رومانسية عن الصحراء أم مؤثر سلبي في التنمية، الحياة، (15/11/2012)، تاريخ الاطلاع: (18/2/2019). <http://cutt.us/BfN3v>

اختزلها أو تفكيكها إلى علاقات أبسط، فهي أشبه ما تكون بالولاءات الوشائية، فعندما يتعرض المجتمع لأزمة طاحنة، أو خطر داهم، يعود إلى هذه الانتماءات والولاءات الوشائية، التي يجد فيها الأمان والطمأنينة، أو يستعملها أدوات لتحقيق المصالح وكسب المنافع⁽¹¹⁾.

القبيلة السعودية والبعد التاريخي

بحسب النظرة العربية في كتب الأنساب فإن العرب جنس واحد، تناسل من خطين هما عدنان وقحطان، لأن العرب القديمة بادت قبل الإسلام، مثل عاد وثمود والعمالقة وجرهم وطسم وجديس، والتي عرّفت بهم النقوش القديمة، وتركز النظرة العربية على الجددين الكبيرين للعرب وعلى الفرعين اللذين نشأ عنهما، فأولاد قحطان يدعون العرب العاربة، وأولاد عدنان هم العرب المستعربة، والقحطانية يرجع أصلهم إلى الزاوية الجنوبية للجزيرة العربية (اليمن)، والعدنانية هم العرب الشماليون، الذين يصل نسبهم إلى معد بن عدنان، أو إلى حفيده نزار، ويعد مضر وربيعة أبناء نزار أصل الفرعين الرئيسيين لعرب الشمال، وإلى مضر تنسب هوازن وسليم وثقيف وعامر بن صعصعة وتميم وهذيل وكنانة، وإلى ربيعة تنسب قبائل عبد القيس وتغلب وبكر بن وائل⁽¹²⁾.

كان لهذه القبائل أدوار اجتماعية متعددة، حيث استطاعت أن تمارس دورها المجتمعي الكبير، ونشاطها التجاري الدولي، واستطاعت كذلك أن تبني نفسها من خلال رابطة النسب، التي يشعر من خلالها المنتمي إليها بالعزة والمنعة، حتى جاء الإسلام فأقر هذا النظام الاجتماعي، وأحدث تحولاً واسعاً في حياة العرب، إذ استطاع تهذيب القبيلة وترتيبها، بإقرار مبادئ التكافل الاجتماعي والتعاون في العسر واليسر، وترتيب الندية على العاقلة، كما منع العصبية والتعالي والثأر، واستطاع بناء الفرد المتوازن، الذي يستطيع التمييز بين واجبات الدين الجديد، وما يمليه عليه انتماءه القبلي.

11 خلدون حسن النقيب، في البدء كان الصراع! جدل الدين والإثنية، الأمة والطبقة، عند العرب، دار الساقى، لبنان، الطبعة الأولى، 1997، ص 15.

12 عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الرابعة، 2003، ص 23.

تعد القبيلة في الجزيرة العربية هي الأقوى منذ القدم حتى قيام الدولة القطرية الحديثة، ففي غياب السلطة المركزية تحل القبيلة محلها في جميع أدوارها، وعند وجود النظام المركزي الذي تقنع به تكون هي المخزن والمادة التي لا غنى عنها لضمان استقرار الدولة واستقرار نظام الحكم فيها، ففي نجد استقرت قبائل عربية عريقة، تحولت من البداوة والترحال إلى الاستقرار، واختارت واحات خصبة وصالحة للزراعة والأمن توفر الحياة المستقرة والنمو، انجذبت إليها، ومارس أبناؤها التجارة مع الزراعة.

كانت المشيخة القبلية تقاوم دوماً قيام الدولة، أو الاندماج فيها؛ للمحافظة على كيان المشيخة، حتى تظهر مشيخة أخرى تتفوق على بقية المشيخات بسبب رفع شعار الدين الذي تتطلع إليه نفوس القبائل، فالقبائل تدرك بفطنتها وحسها الفطري أن الدين هو المكسب في الآخرة حيث النعيم المقيم، وفي الدنيا حيث الانصهار والذوبان الاجتماعي في مجتمع أكبر من القبيلة، ويحقق مكاسب أكثر مما تحققه القبيلة إذا استطاع اللاعب السياسي المحترف أن يكون بارعاً في هندسة المجتمع، من خلال تحقيق مبدأ تكافؤ الفرص والاستحقاق، والتطبيق العادل لتوزيع فوائده ومكاسب الدولة، ما يمكن المواطنين من أن يتمتعوا بمستويات معيشية تناسب دخل الدولة وقدرتها الاقتصادية والمالية⁽¹³⁾.

تمثل القبيلة، على اختلاف أشكالها، في المجتمع الخليجي عموماً، وبناء على ارتباطها بالصحراء والبادية والبحر وساحل الخليج والزراعة في الواحات، الوحدة الاجتماعية الرئيسية في هذا المجتمع، وكان لها على مر الزمن أدوار مهمة، وشكلت الجزء الأكبر من حياة المجتمع الخليجي، واحتلت مساحة جغرافية كبيرة في هذا المحيط، فجاء تأثيرها كبيراً بعد اندماجها في المجتمع المستقر الذي شمل السواحل السعودية والمناطق الزراعية المتاحة، ولعل هذا الاندماج المكاني لم يكن شاملاً ليصل إلى ما يسميه الأنثروبولوجيون التشابه الثقافي أو الاندماج الثقافي الكامل، فالقبيلة، بصفاتها نظاماً اجتماعياً، يحمل أفرادها مفاهيم ورؤى وتصورات خاصة في شأن المحيط الاجتماعي الذي يعيشون فيه، فتتشكل الثقافة القبلية من خلال هذا المحيط، وقد جاءت هذه المفاهيم والتصورات والرؤى التي رسخت في حياة ابن الصحراء متوافقة ومتكيفة مع البيئة الطبيعية التي يعيشها، وكونت

13 محمد بن صنينان، مرجع سابق، ص 42-75.

شخصيته التي تميز بها⁽¹⁴⁾.

القبيلة في السعودية ذات بعد تاريخي، وهي تضرب بأصولها في أطناب التاريخ، وكثير من القبائل احتفظت بأسمائها القديمة، وهي باقية من فروعها التي خرجت من الجزيرة العربية، ومن الملاحظ أن هذه القبائل تنتشر بشكل كبير في المنطقتين الشرقية والجنوبية وكذلك في منطقة نجد، وتنقسم هذه القبائل حسب المهنة التي تمارسها إلى قسمين: قسم مهتم بالزراعة، وآخر يهتم بالرعي سواء كان رعي الإبل أو الغنم.

يصنف بعض الدارسين القبائل في شبه الجزيرة العربية والقبائل المجاورة لها من حيث النسب والمكانة الاجتماعية إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: قبائل ذات عصبية تفخر بأصولها وتتنافس في الكفاءة والمجد والنسب والأصالة، مثل قبائل عنزة وشمروالمطير والظفير وبنو مرة وبنو خالد وعتيبة وقحطان والدواسر والمناصيل وبنو ياسين والقواسم والحويطات وغيرها.

القسم الثاني: قبائل ذات عصبية لكنها لا تتمكن من رد أصولها إلى أرومات عربية.

القسم الثالث: قبائل موالية لا يعترف بها البدو العرب على أنها ذات أصل، فلا يصاهرونها ولا يجارونها باعتبارها ضعيفة، وهي التي يطلق عليها مصطلح (صلبة)؛ وهي القبائل التابعة، ومثلها القبائل المشتتة، ذات الأشغال اليدوية⁽¹⁵⁾.

تنعكس ثقافة القبيلة وعاداتها وتقاليدها وأعرافها داخلياً بشكل كبير، ويحرص كثير من السكان على التمسك بلقب القبيلة في هوياتهم، ويرون التنازل عنه منقصة، ولم تستطع الوسائل الحديثة، كالتعليم والاقتصاد، الحد من ظاهرة عقدة الانتساب إلى القبيلة.

القبيلة والدولة القبلية

يتكون المجتمع القبلي أساساً من وحدات أو جماعات يفرق بينها النسب القريب أو

14 يعقوب يوسف الكندري، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد (15)، شتاء 2016، ص 52.

15 حلیم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين بحث تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2000، ص 190.

البعيد، فهي بمنزلة أخلاط، ولكي تشكل من هذه الجماعات المتغايرة بل والمتنافرة أحياناً وحدة كبرى تضمها جميعاً لا بد من غلبة أحدها على الباقي تماماً، كما هو الشأن بالنسبة إلى الأخلاط التي يتشكل من اجتماعها مزاج معين، ثم إذا حصل التغلب على قومها طلبت بطبعها التغلب على أهل عصبية أخرى بعيدة عنها، وهكذا حتى تكافئ بقوتها قوة الدولة⁽¹⁶⁾، أو تتحول إلى دولة أخرى.

القبيلة في أصلها نظام معاشي يؤدي وظيفة ضرورية لأعضائه، لكونهم دولة أولى بتصور أولي ومرحلي مبكر لنظام الدولة، وهذا هو وجه الشبه بين القبيلة والدولة، فالقبيلة لها نسقتها الخاص في التعامل مع نفسها داخلياً ومع غيرها خارجياً، وهذا (الغير) يشمل القبائل الأخرى، حيث إن علاقة القبيلة بالقبيلة هي مثل علاقة الدولة بالدولة الأخرى، ومع تغير أنظمة المعاش ودخول المجتمعات مرحلة الزراعة ومعها الاستقرار الريفي، ثم مرحلة التجارة ومعها نشوء المدن والعائلات، ثم الصناعة والاقتصاد، بحثت القبيلة عن نظام واحد يجمعها فكانت الدولة⁽¹⁷⁾.

في السعودية حاول كثيرون توحيد القبائل وبناء دولة، لكن لم ينجح أحد منهم زمنياً طويلاً، والمشكلة تكمن في أن رجال القبائل لديهم نزعة استقلالية حادة، ولا يكتفون ولاء لأي شخص ليس منهم، وكانوا يقدرون أعظم التقدير القوة والشجاعة وحسن القيادة والحظ، فمن تتوفر لديه هذه الصفات بقدر عظيم فإنه يستطيع لمدة من الزمن أن يوحد عدة قبائل أو عدة فروع قبلية، ويبدأ تكوين مملكة خاصة به⁽¹⁸⁾.

استطاعت أسرة آل سعود إقامة عدد من الدول، وفي فترات زمنية متعددة، متحالفة مع بعض القبائل على حساب بعضها الآخر، وفي إطار هذه التحالفات برزت علاقة الدولة بالقبيلة، حيث يذهب جوزيف كوستنر في مقارنته للدولة والقبيلة في السعودية إلى أنه وتحت لواء المذهب الوهابي استطاع حكام الدولة السعودية الأولى وفيصل بن تركي

16 محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة السادسة، 1994، ص 184.

17 عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2009، ص 162.

18 محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، د.ت، ص 23.

حاكم الدولة السعودية الثانية، أن يضموا القبائل لحكمهم، وأن يظفروا بولائهم بدرجة غير مسبوقة⁽¹⁹⁾.

نشأت الدولة السعودية الثالثة في ظل عدد من العوامل، مستفيدة من تجربتي الدولتين السعودية الأولى والثانية وما سبقهما، متحالفة مع الحركة الوهابية، مستجيبة لطموح الأسرة في تقوية المركز ومد النفوذ، مستغلة التشنت القبلي داخل الجزيرة العربية وظاهرة الحروب الممرّقة، وما آلت إليه حواضر الجزيرة وباديتها، كما استفادت من التحولات العالمية التي سبقت الحربين العالميتين الأولى والثانية، ونتيجة لذلك استغل الملك عبد العزيز الساحة العالمية، مستفيداً من الفراغ السياسي، مع وثوق البريطانيين بشخصه، فسعى إلى توحيد معظم شبه الجزيرة العربية في كيان واحد، ساعده على ذلك تطلع بعض القبائل النجدية إلى السلم الاجتماعي والتعايش في وحدة وطنية واحدة⁽²⁰⁾.

تبرز العلاقة أكثر بين الدولة والقبيلة في السعودية في كون الأسرة السعودية عبارة عن رمزية لقبيلة بدوية ذات طموح اجتماعي، ساعدها المحيط الداخلي والخارجي على النفوذ، مستخدمة القوة العسكرية من 1902 إلى 1932، إضافة إلى أن هناك بعض المناطق وُحّدت بشكل سلمي عن طريق الاتفاقيات والمعاهدات، التي انتهت بإعلان المملكة العربية السعودية، ولهذا فإن العامل القبلي لا يزال حاضراً، وهناك عدد من العوامل تساعده على البروز بين حين وآخر.

مع قيام الدولة الحديثة كانت هناك إشكالية تتعلق بتوطين القبائل المترحلة، وهكذا قرر السياسيون تقييد حركة تلك القبائل، إذ لا يمكن أن تقام دولة دون كبح جماح تلك الحركة غير الملتزمة بالكيانات السياسية الجديدة، وقد اتضح ذلك من الأسلوب الذي تبناه الملك عبد العزيز بن سعود في مفهومه (للهجر)، وقد أدخلت تلك المشاريع الحكومية القبيلة في حالة من الضياع والذهول في مواجهة تلك المرحلة الانتقالية الصعبة، وبدأت تلوح في الأفق نهاية الشمل التضامني القبلي القائم على الكر والفر والخوة والديرة والغزو والشجاعة

19 جوزيف كوستنر، العربية السعودية 1936 - 1961 من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاعر سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت، ص 10.

20 محمد بن صنيان، مرجع سابق، ص 100.

والسبي والفخر والحماسة⁽²¹⁾.

ظاهرة القبيلة تبرز أحياناً وتخفت في أحيان أخرى، وهناك عدة عوامل تؤدي لانبعث دور القبيلة عموماً، يناقشها مرتضى السيد، حيث يذكر أن منها: الافتقار إلى مشروع لتنمية الثقافة والانتماء الوطنيين، ويعيد جذور هذا الأمر إلى طبيعة نشأة الدولة التي كانت قائمة على التوسع العسكري، وطبيعة المجتمع السعودي شديد التنوع ثقافياً وطائفيًا ومناطقياً، إضافة إلى مشكلة النظرة البدائية لموضوع الحكم والسلطة، بوصفها امتيازاً فريداً ومغلقاً بالمنتصرين، كل هذا جعل النظرة إلى موضوع الوطنية بوصفه خطراً قد يفضي إلى انفراز قيادة على أسس مختلفة، وإلى تعزيز وحدات داخلية قادرة على إضعاف من يمسك بالقرار السياسي.

إن مواجهة الروح القبيلية كان يتطلب تأسيس مشروع وطني أوسع، ولعل التجربة الوهابية في مراحل الدولة السعودية الثلاث، ورغم تأكيد الانتماء الديني، فإنها لم تلغ القبيلية بل بنت عليها قواعدها، وشدّبت بعض تصرفات القبليين، دون الحرص على إيجاد ثقافة وطنية أوسع تذوب في بوتقتها الثقافات والانتماءات الفرعية.

الأزمة الاقتصادية وتصاعدها، وفشل الاحتواء الذي اعتمد سياسات مؤقتة قائمة بدرجة أساس على توفير الرفاهية الاقتصادية، هذه العوامل لها دور كبير في استمرار الحضور القبلي، فقد أصبحت قدرة الحكومة اليوم محدودة للغاية في استرضاء القبائل مالياً؛ بسبب الضائقة الاقتصادية المستمرة منذ منتصف الثمانينيات.

ضعف دور المؤسسة الدينية في بناء الهوية الوطنية من جهة، وإذابة الروابط والثقافات القبيلية من جهة أخرى، أضعف قدرتها على تحقيق مشروعية دينية للبنيان السياسي قادرة على الصمود، وفي الحقيقة فإن عكس ذلك هو ما حدث؛ فقد تضافت الروح الدينية والقبيلية معاً لتأكيد الهويات الفرعية.

استخدام أدوات التحديث في تعزيز الهوية القبيلية، والهويات الفرعية عموماً، وكذلك

21 غانم النجار، القبيلة والدولة في الكويت والجزيرة العربية، جامعة الكويت، قسم العلوم السياسية،

1996، ص.2.

في مقاومة التشطّي المكاني لأفراد القبيلة. إن أفراد القبيلة، وبالنظر إلى المصالح الاقتصادية الخاصة بهم، توزّعوا مكانياً حسب موقع العمل، وحسب نوعيته أيضاً، هذا التشطّي الظاهري لا يعني بالضرورة فقدان عوامل اللحمة والارتباط، فكثير من العناصر القبلية المتشابهة تلتقي وتشكل روابط في المدن والأماكن التي تكون فيها لتفعل العلاقات القبلية والعائلية، كما أن عوامل التحديث والاتصال أسهمت في تسهيل التواصل والتفاعل بين أفراد القبيلة وتعزيزها بدلاً من إعاقتها⁽²²⁾، أضف إلى ذلك أن عملية التحديث غير المتوازنة أدّت إلى خلخلة في القيم القديمة، سواء الدينية أو القبلية، وهذا بدوره سيولد ردة فعل عكسية تتشبث بالتراث الديني والقبلي بشكل كبير، لأن أي خطوة لا تكون مدروسة في التعامل مع القبيلة تُشعرها بالخوف، وعند الشعور بالخوف تظهر الرغبة في العودة إلى أحضان القبيلة والاحتواء بها.

إن ارتفاع مستوى التعليم لم يحد من تأثير القبيلة السعودية، وعلى العكس من ذلك عززها عند البعض، وخصوصاً أولئك الذين يرون في التمسك بالأصول القبلية ضماناً للمكانة السياسية والاجتماعية المرموقة، ولهذا يظل الإنسان القبلي السعودي حريصاً على إثبات نسبه في هويته الوطنية، والتي تحولت إلى وثيقة لإثبات النسب القبلي، وهذا ما ولد شعوراً بعدم الرضا، وخصوصاً عند ذلك المواطن السعودي غير المنتسب للقبيلة.

القبيلة في السعودية ما زالت هي المستودع البشري الرئيسي لتوظيف أفراد الجيش، والشرطة، والحرس الوطني، والنقطة المهمة التي يجب أن يُلتفت إليها أن المجتمع السعودي وبقية مجتمعات الخليج العربي، وكذلك المجتمعين الأردني والعراقي، لم تنتقل بعد من البداوة إلى الحياة الحضرية انتقالاً تاماً ونهائياً، فما زالت هذه المجتمعات في مرحلة بين البداوة والحضرية، وقد لاحظ العالمان الاجتماعيان ديفوس وماينر أن مرحلة الانتقال هذه تصاحبها مشكلات نفسية يصعب تجاهل أثرها في تكيف الفرد مع الحياة الجديدة، وهو أمر متوقع نتيجة لاختلاف معايير السلوك، والقيم، ومتطلبات الحياة، وأن الجانب العصي في هذه المرحلة ليس هو الجانب المادي أو الفني، ولكنه الجانب الحضاري والاجتماعي⁽²³⁾.

22 مرتضى السيد، دور القبيلة ومستقبلها في المملكة العربية السعودية، شؤون سعودية، تاريخ الاطلاع: <http://cutt.us/vRTI2> (24/1/2019)

23 شاعر النابلسي، خصوصية المجتمع السعودي التاريخية، الوطن أونلاين، (26/1/2018)، تاريخ الاطلاع:

القبيلة السعودية والمجتمع ... الأثر والتأثير

شهدت منطقة الخليج العربي تغيرات اجتماعية وثقافية ناجمة عن اكتشاف النفط فيها، وكان للتغيرات الهيكلية تلك تأثير مباشر وسريع في البناء الاجتماعي العام داخل هذا المجتمع، نظراً إلى أن التغير الذي يحدث في المعطيات المادية للعناصر الثقافية يجري بشكل أسرع من ذلك الذي يحدث للعناصر اللامادية، ولذلك ظل كثير من هذه العناصر موجوداً في فكر الأفراد، ودخلت المدينة وحياة الحاضرة، ولكن ظل بعض من القيم والأفكار والرؤى والتصورات اللامادية موجوداً رغم تغيره السريع في شكله العام، وكانت النهضة التعليمية والاقتصادية هي العنصر الأساسي الذي حول المدينة إلى مركز جذب متميز لعائلات وقبائل من خارج الحدود الإقليمية، وعرف المجتمع المحلي عملية الدمج الكبير بعد تضاعف أسعار النفط سنة 1973، وأصبح لأبناء البادية دور في السلم الوظيفي للدولة في الميادين المؤسسية المختلفة⁽²⁴⁾.

الفرد القبلي يعد الانتماء إلى القبيلة رصيده الاجتماعي، سواء على مستوى الأصل أم شرف النسب، وهذا المفهوم كثيراً ما يجر الفرد القبلي إلى رهانات تكلفه التزاماته بتوفير الحماية وتقديم العون لكل من يلوذ به، أو يطلب حمايته، كما أن أيديولوجيا الأصل وشرف النسب تعمل على شكل كوابح تقيده أغلالاً، وتصده عن فعل أو اعتياد سلوك يسيء إلى سمعته وسمعة القبيلة، فشرف القبيلة يتحطم بفعل إتيان أحد أفرادها لما هو مخالف لعاداتها وتقاليدها ومألوفها⁽²⁵⁾.

والقبيلة داخل النظام السياسي الملكي تختلف عنها في النظام السياسي الجمهوري، فهي متناغمة ومتصالحة مع الأنظمة الملكية، ما دام الحد الأدنى من تبادل المنافع متوفراً بين القبيلة والدولة، ومصالح أفرادها تؤخذ بالحسبان، والقيم الاجتماعية والمجتمعية السائدة محلياً هي الأساس في التقويم والتقدير⁽²⁶⁾، لما يحمله أفرادها من تصورات خاصة، وهذه

<http://cutt.us/PpYVc> .(22/1/2018)

24 يعقوب يوسف الكندري، مرجع سابق، ص 52.

25 محمد بن صنيبان، مرجع سابق، ص 45.

26 طراد بن سعيد العمري، عن القبيلة والدولة أحدثكم، الحياة، (20/7/2014)، تاريخ الاطلاع: <http://cutt.us/Aw0Yj> .(22/1/2019)

التصورات منسجمة مع البيئة، وكونت الشخصية السعودية، التي تقوم على ثلاثية الدين والعروبة والقبيلة.

القبيلة والصلح المجتمعي

للقبيلة في السعودية تأثير مجتمعي كبير؛ سواء في ذلك التأثير الإيجابي الذي يعود بالخير على المجتمع ويعمق سبل التعاون والتكاتف والعيش المشترك، أو التأثير السلبي الذي قد يعم المجتمع ككل، وربما يولد القطيعة والتباعد، وصور التأثير المجتمعي الإيجابي كثيرة، منها على سبيل المثال الإصلاح المجتمعي، إذ إن بعض القبائل اعتادت حل قضاياها الداخلية بنفسها، وحل مشاكلها مع القبائل الأخرى، واعتمدت بعض القبائل السعودية نماذج للإصلاح بين الناس وحل قضاياهم وفض المنازعات بينهم، وبينما هناك أعراف عامة، هناك أعراف خاصة بكل قبيلة على حدة.

لا تزال القبيلة في السعودية تشكل مكوناً رئيسياً في بنية المجتمع، ولا تزال الأعراف القبلية في عدد من المجتمعات الصغيرة في السعودية في الجنوب والشمال والوسط أيضاً، وتحفظ معظم القبائل بصفات المشيخة والاجتماعات الدورية وجمع الأموال بشكل سنوي، حيث تعد هذه الأموال للقبيلة مرجعاً في حال دخل أفرادها في مشكلة ترتب عليها التعويض من الأموال المجموعة، وكثير من القبائل تسعى لحل خلافاتها وحدها، وتحديد الحدود القبلية⁽²⁷⁾.

العرف القبلي يلزم أفراد القبيلة بالصلح والتراضي ضمن إجراءات تسوية القضايا بين الأفراد، حيث إن جميع الأفراد لهم نفس الخلفية الثقافية، وأي عدول عن ذلك يعني الخروج على القيم الاجتماعية، ويتعرض الفرد للعقاب المعنوي، فعلى سبيل المثال وقع، في 2001، شجار بين اثنين من قبيلة عبيدة السعودية أدى إلى إصابتها بجروح، وقد تدخل وجهاء القبيلة بالصلح بينهما، فرفض المجني عليه، ولاحقاً ظهر أخو المجني عليه واعتدى على والد الجاني وضربه وأحدث جروحاً مختلفة، فعمد ابنه إلى أخذ حق والده

27 سعد القحطاني وآخرون، التحول المدني في السعودية دراسة في المقومات والمستقبل، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، إسطنبول، الطبعة الأولى، 2018، ص 201.

بالتأثر وأردى الجاني قتيلاً، وتطورت المشكلة إلى أبعد حدودها الاجتماعية، ويفسر ذلك اجتماعياً بأن المعتدي الأخير لم يقتنع بالحكم الشرعي، ولم يرض بالأحكام العرفية، وهو ما أدى إلى تطور القضية جنائياً وتوتر الوضع الاجتماعي⁽²⁸⁾.

تنتشر في بعض القبائل السعودية، وخصوصاً الجنوبية منها، بعض الكلمات ذات الدلالات القوية التي تستخدم للصلح، منها كلمة (الوجه)، ومعناه أن يعطي الرجل وجهه مقابل شخص أو وديعة على أن يأتي بها، وعادة ما يستخدم هذا الوسطاء الذين يتدخلون في حل المشاكل والصلح بين الناس، كذلك كلمة (أبشر بالعرض)، وهي تعني التعاون مع الغرماء، ومنها كذلك (العقال)؛ وهو المعدل من السلاح يعطيه المتخاصمان لمن يريد الصلح بينهم كضمان قبولهم بما سيصلح، والمعاديل من طرق الصلح التي تحاول حكومة المملكة العربية السعودية الحد منها، وخاصة أن بعضها يتطلب مالا كثيراً مقابل قضية بسيطة.

تستخدم بعض القبائل طريقة (الملقى) لحل أي خلاف أو شجار قد ينشب بين شخصين أو أكثر، وهو من طرق الإصلاح بين الناس، وصورته تكمن في قدوم مجموعة من الناس من قبيلة الجاني، معترفة بما بدر منها من خطأ، طالبة العفو والصفح، ومستعدة لأي حكم تأمر به قبيلة المجني عليه، وتستقبلهم قبيلة المجني عليه في مقرها، أو في مكان يتفقون عليه، ويقدم كل فريق كلمته، ويتم تبادل الآراء للوصول إلى حل مرضي يتفق عليه الطرفان، وتنفيذه تكون القضية قد انتهت تماماً، وغالباً ما يكون هناك مبلغ مالي يدفع للمجني عليه، أو عفو عام.

كما تستخدم بعض القبائل طرقاً أخرى في حل المنازعات، حسب نوعية الخلاف، ومنها الحل الودي، الذي يستخدم عادة عندما يكون النزاع بين الأقارب وأبناء العمومة، بحيث يدخل شخص من نفس العائلة ويحل الخلاف ودياً، تليه الوساطة، وهي التي تكون في إطار القبيلة الواحدة لحل نزاع بسيط، مثل السب أو النزاعات على الأراضي أو الأمور المالية بين أشخاص بينهم صلة قرابة من بعيد أو نسب، فيتدخل شخص أو

28 حمد بن حيدان بن فهد القحطاني، دور الأعراف والتقاليد في حل النزاعات القبلية، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2008، ص 13.

أشخاص محايدون من أحد الأفخاذ الأخرى من القبيلة نفسها في التوسط بينهم وإنهاء هذا الخلاف دون اللجوء إلى رد الشأن أو الجيرة، ما عدا الاعتداء على الجسم فيكون فيه غالباً رد شأن وجيرة وتنتهي بنفس الحل.

من صور حل القضايا عند بعض القبائل السعودية الجنوبية التحكيم؛ وذلك عندما يكون المتنازعون من قبيلتين مختلفتين في منطقة واحدة، ولكن المودة بينهم ضعيفة، فيحتكمون إلى شخص معروف بالعدل والصدق، ويسمى في بعض القبائل (مقطع حق)، ويكون هنا رد شأن وجيرة، وبعده التقاضي، ويستخدم إذا كان المتنازعان من قبيلتين مختلفتين، ومن منطقتين مختلفتين، وليس بينهم قرابة ومودة قوية إنما كل شخص من قبيلة أخرى، فتدخل الأساليب العرفية مع تدخل الجهات الرسمية، وهناك وسيلة أبعد منها وهي الحل القمعي، وهذا النوع من الحل يستخدم إذا لم تكن بين المتخاصمين أي روابط اجتماعية أو عادات وتقاليد، وكانا متباعدين في السكن⁽²⁹⁾.

القبيلة والعصبة

العصبة القبلية هي في الأساس نزعة نفسية فطرية تنشأ مع الإنسان بفعل عوامل الدم والنسب، وبدرجة أقل بالمصاهرة والجوار والحلف والمواطنة. والنزعة القبلية تعني قوة التعلق والانتماء التي تتاب الإنسان تجاه الكيان الذي يحتضنه أو ينتسب إليه، ويزداد تعلق الفرد بقبيلته عندما تتعرض للعدوان، وهذا الشعور قد يتحول بدافع هذه العاطفة إلى شعور بالتعالي والفوقية وازدراء الآخرين، وقد يترتب على ذلك أن تتعالى القبائل بعضها على بعض، فتحدث النزاعات التي تتطور إلى عنف وعنف مضاد، وتحل الثارات وغيرها من المظاهر⁽³⁰⁾.

والتعصب يعني التجمع المعنوي، بمعنى شعور الفرد بأنه جزء لا يتجزأ من العصبة التي ينتمي إليها، وهو استعداد دائم في نفس الفرد يدفعه إلى تجسيد هذا الانتماء إلى العصبة بفناءه فيها فناء كلياً، وهو بهذه الحالة يفقد شخصيته، ويتقمص شخصية العصبة،

29 حمد بن حيدان بن فهد الفحطاني، مرجع سابق، ص 30.

30 علي الحربي، العصبة القبلية سلوك فردي أم ظاهرة اجتماعية سياسية، قسم التاريخ والحضارة، أكاديمية الدراسات الإسلامية، ماليزيا، ص 6.

ويتضح ذلك أكثر إذا كان هناك خطر خارجي يهدد وجود العصبية، أو ينال من كيانها المادي أو المعنوي، وفي الحالة العادية غالباً ما يكون شعوراً كامناً يطغى عليه شعور الفرد بأناه وشخصيته واستقلاله، فالعصبية حسب مقاربة محمد عابد الجابري «رابطة اجتماعية سيكولوجية، شعورية ولا شعورية معاً، تربط أفراد جماعة ما، قائمة على القرابة، رباطاً مستمراً يبرز ويشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد، كأفراد أو جماعة»⁽³¹⁾.

من مقومات التأثير المجتمعي للقبائل السعودية العصبية، سواء بمعناها الإيجابي القائم على التعاون على الخير، أو السلبي القائم على التكتاف مع القبيلة حتى لو كانت هي المخطئة، فالتعصب مرتبط - كما يرى ابن خلدون - بظروف الطبيعة وتأثير العامل القرابي، والطبيعة المقصودة هنا هي الطبيعة الصحراوية، وهذان المقومان يساعدان أكثر على ظهور العصبية، كذلك فللدين أثر في تعزيز التلاحم القبلي، ولأن الطابع العام للإنسان القبلي هو التدين، فإن الدين أسهم بشكل كبير في تعزيز التلاحم.

إن الأصل في القبيلة التعصب، والعصبية للقبيلة من الخصائص الاجتماعية، وإن كان التناحر الحربي بين القبائل قد اختفى منذ تأسيس السعودية كوحدة سياسية واحدة، فإن الانتماء القبلي لا يزال حاضراً في ظل الدولة لأسباب، لعل من أهمها الطبيعة التي تشكلت بها الدولة ذات البعد القبلي، ومن ثم فهي عبارة عن قبيلة متطورة، إضافة إلى الحضور غير القبلي الذي شعر معه القبلي بالخطر، وهذا ما استدعاه للهجوم اللفظي على من لا ينتسب لقبيلة، بل وذهبت بعض القبائل إلى ما هو أبعد من ذلك، بتهجم من ترى نفسها أعرق نسباً على القبائل التي تراها أقل منها نسباً.

من أشكال التعصب السلبي اشتراط النسب في الزواج عند بعض الأسر، واشتراط كونه من قبيلة معروفة، بل ويذهب البعض إلى اشتراط كون المتقدم من نفس قبيلة المرأة، دون مراعاة لمبادئ العدالة الإلهية وحقوق المواطنة المتساوية، وأصبح يطلق على المواطنين من مكة والمدينة وينبع والطائف وجدة بقايا الحجاج أو طرش البحر، وهم ربما ممن أتى أجدادهم للحج أو للعلم وانتهى به المقام للإقامة في هذه المناطق، وأصبح يطلق على من

31 محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 168.

لم تعرف له قبيلة مصطلح الخضيرى، ويطلق عليه بشكل آخر خط 220 القبلي، وخط 110 الخضيرى، والمقصود به «ذلك الشخص، ذكراً كان أم أنثى، الذي لا يعرف أنه ينتمي لقبيلة معينة من قبائل العرب، فهو ينسب عادة لعائلة معينة، ومنها أسماء معروفة، وقد تكون تلك العائلة ممن ينتسب لقبيلة معينة، لكن لسبب من الأسباب تحول ذلك الفرع من القبيلة (عرفاً) إلى خضيرى، واعتبره المجتمع لا ينتمي لقبيلة معينة وسارت ذرية ذلك الفرع بهذا الشكل»⁽³²⁾.

ويقدم الكاتب السعودي مشارى بلغنيم عدداً من الأسباب التي أدت إلى ظهور لفظ خضيرى، ومنها:

أولاً: أن يكون أحد أجداده الذكور (من القدم) ليس عربي الأصل، كأن يكون جده فارسياً أو رومياً أو حبشياً، ودخل مع العرب وتعلم لغتهم واندمج فيهم، وظلت ذريته لا تنسب لقبيلة معروفة من قبائل العرب المشهورة.

ثانياً: أن يكون أحد أجداده قبلياً أصلاً وينتمي لقبيلة عربية معروفة، لكنه ولظروف معيشية ما امتهن مهنة لا يقبلها القبليون، مثل إحدى المهن الحرفية؛ النجارة أو الحدادة أو القصابة أو البناء، أو غيرها من المهن التي يأنف منها القبليون، وبسبب امتهانه لهذه المهنة تخلى عنه قومه وقبيلته، وذلك ما اضطره إلى الاندماج بطبقة الخضيريين، فتزوج منهم وتزوجوا منه، وانفصل عن القبيلة الأم.

ثالثاً: أن يكون شخص من القبائل المعروفة تزوج من إحدى بنات هذه الأسر، أو زوج إحدى بناته لهم، فأصبح في عرف الناس منهم.

رابعاً: أن يكون أحد أجداده قبلياً أصلاً، ولكن بسبب الحروب والكوارث الطبيعية انتقل مع الأسر النازحة لمناطق بعيدة عن قبائله، وأصبح من فئة من يسمون الخضيرى، والحروب والكوارث حاضرة على مدار التاريخ، وتؤدي إلى تشتت الأسر وأطفالها، وهو ما قد يجعلهم في غير قبائلهم الأصلية، وينقطع نسبهم.

32 مشارى بلغنيم، المجتمع السعودي: قضايا اجتماعية مسكوت عنها، العربية، (25/5/2013)، تاريخ الاطلاع: 18/7/2019. <http://cutt.us/UAYw3>

خامساً: أن يكون قد اضطر إلى الانتقال من قبيلته إلى قبيلة أخرى ربما تكون معادية لقبيلته فيضطر إلى إخفاء اسم قبيلته.

سادساً: أن يكون أحد أجداده هارباً من قبيلته بسبب دم أو بسبب ديون متراكمة عليه، أو أتى فعلاً محظوراً، ومن ثم تعرض لعقوبة طرده من القبيلة، ثم دخل في قرية من القرى أو لجأ إلى قوم من الأقوام وعمل عندهم كخادم أو صبي، مخفياً أصله، وتزوج منهم أو من خدمهم، فأصبح شخصاً لا ينتمي لقبيلة معينة، حيث إنه أخفى اسمه لكيلا يتابعه أصحاب الحق عليه.

سابعاً: هناك من يرجع تفسير منشأ فئة الخضيريين إلى فكرة المجتمع الذي كان يتأسس على العبودية، وهي السبي وبيع العبيد، وكانت من سمات مجتمع الجزيرة العربية قبل توحيد المملكة، ووجود فئة العبيد استلزم رسم حدود فاصلة بين السكان الأصليين وبينهم حتى بعد انتهاء سمة العبودية⁽³³⁾.

هذه الظاهرة عززت من الحضور القبلي أكثر، وأعطت شعوراً بأن القبيلة مطلب نفسي واجتماعي وقيمي، من خلال بحث أسر لم تكن محسوبة على القبائل، ثم بدا لها أن تبحث عن نسب قبلي لها، وبدلاً من أن تؤدي هذه الأسر ذات الواجهة العالية دوراً في تحييد اسم القبيلة وإبقائه في حدود المعنى الثقافي والاجتماعي، راحت بتصرفها هذا تقوي من قبائلية القبيلة، وكأن هذه الأسر تبرأ من مدنيته وأسريتها، ومن علاقات الرحم المدنية التي تتشابك معها، كل ذلك من أجل تتويج اسمها بمرجعية قبائلية منتزعة من بطن النسيان⁽³⁴⁾.

القبيلة والقيم

اشترط علماء الاجتماع لقيام أي جماعة وجود عنصرين هما: الاستقرار المكاني، وعاطفة الجماعة، هذان العنصران متوفران في كل قبيلة، وتربط بين أفراد القبيلة وشائج عاطفية تشد أفرادها بعضهم إلى بعض، وتنبع من الشعور بوحدة الجماعة من صلات القرى ومن

33 المرجع نفسه.

34 عبد الله الغدامي، مرجع سابق، ص 204.

كونهم يعيشون على أرض واحدة. ومن جهة أخرى يطلق علماء الاجتماع على قانون القبيلة الذي ذاب في الدولة العصرية اسم العادات والتقاليد، حيث تخضع معظم القبائل لقوانين صارمة نظمتها التقاليد والأعراف، تهدف في النهاية إلى حفظ أهم مقومات الشرف في القبيلة؛ وهي المال والدم والعرض⁽³⁵⁾.

القبيلة في الجزيرة العربية عموماً، وعلى الرغم من مساحتها الشاسعة، تمتاز بوحدة العرق واللغة والعادات والتقاليد والتراث الحضاري، بالإضافة إلى أن الغالبية العظمى تعتنق الإسلام، الذي ولد في أحضانها، ولم تتعرض لغزوات خارجية تركت آثاراً عميقة في تركيبها البشري ولغتها وثقافتها وديانته، وأما المؤثرات الخارجية التي تعرضت لها فظلت محصورة في السواحل، واستمر البدو يتوارثون عادات وتقاليد قديمة لا مكان فيها للتأثيرات الخارجية، باستثناء ما بعد اكتشاف النفط، وهذا ما يجعل مساحة القيم الحميدة في ظل القبيلة واسعة، وهذا لا يعني خلوها من سلبيات بل وسلبيات قاتلة أحياناً.

تعد وحدة الدين من أهم مقومات القبيلة السعودية الذي استطاعت من خلاله المحافظة على كثير من القيم الحميدة؛ منها الكرم والتعاون والشهامة، وعمقتها داخل المجتمع حتى أصبحت جزءاً منه، ولهذا كان من مظاهر التأثير الإيجابي للقبيلة السعودية التكافل والتعاون بين أفرادها، سواء كان التعاون داخلياً في إطار القبيلة نفسها، أو خارجياً، وتأتي الزكاة في أعلى مستويات هذا التعاون، ثم صدقات التطوع، وزكاة الفطر التي يؤديها المجتمع في نهاية شهر رمضان، وكفالة الأسر الفقيرة والمحتاجة، إضافة إلى المشاركة في دعم المبادرات الاجتماعية التي تسعى إلى دعم الأسر وتشجيعها على الاكتفاء الذاتي، والمجتمع القبلي يعي جيداً أهمية العمل الخيري والتكافل الاجتماعي، إذ ينظر إليه على أنه أسلوب حياة.

للقبيلة حضور معنوي قد يفوق حضور القانون والدين في بعض الأحيان، وذلك أن العار المجتمعي يعد خطأً أخطر بالنسبة إلى إنسان القبيلة يصعب عليه تجاوزه، ولهذا الموضوع قوة ردع تفوق قوة القانون، وبهذا تساعد القبيلة على تحصين القيم الإيجابية، وتعزيز تلك الأعراف والعادات والتقاليد التي يعد جزءاً منها إيجابياً، ويصعب على المجتمع

35 حمد محمد الشداددي، القبيلة ودورها الوطني من منظور أممي، الوثام، (6/11/2016)، تاريخ الاطلاع: <http://cutt.us/x2TLW>. (7/2/2019)

تجاوزها لأن الضمير القبلي يرفض ذلك.

ولهذا فإن أي عملية تغيير اجتماعي أو ثقافي ستلقى معارضة شديدة، ما لم تنسجم مع الهوية وتراعي البعد الاجتماعي؛ فالمجتمع السعودي بعمومه وطبيعته مجتمع محافظ، يدفعه الدين ويحجمه الدين ذاته، وتحركه الفتاوى وتسكنه، وتضبطه أحكامه وقيمه، وتطلقه تشريعات الدين وتقيده، والتغيير والإصلاح المتلازم مع الدين بمنهج السلف عنصر نجاح التطوير والتحديث في بنيته، وهذا ما أثبتته كثير من الأحداث التاريخية⁽³⁶⁾.

بعد إعلان رؤية 2030 كان هناك عدد من الإجراءات التي قامت بها حكومة المملكة العربية السعودية، من ضمنها الحد من تأثيرات هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتغييرات داخل هيئة كبار العلماء وإنشاء الهيئة العامة للترفيه، التي تقوم على تنظيم الحفلات الغنائية والموسيقية، وكان من نتائج ذلك اعتقال عدد من أصحاب الرأي من مختلف التيارات، ولهذا يبدو أن لهذه الإجراءات بُعدين رئيسيين، بُعد يتعلق بإعادة إنتاج ثقافة جديدة تتجاوز القبيلة كمكون اجتماعي، والفكر الوهابي كأيدولوجيا مجتمعية، وهما المكونان اللذان كانا مع السعودية منذ تأسيسها إلى الآن، وتلقت من خلالهما الإسناد والدعم طيلة فترة حكمها.

هذه التغييرات - وإن بدا بعضها مهماً والشعب بحاجة إليه - هي في نظر المجتمع السعودي غير نابعة من إرادة شعبية تسعى للتهذيب مع تعزيز وعي الشعب واحترام هويته، بل تحاول القفز على إرادة المجتمع، وهذا هو المهدد الرئيسي لها، وذلك لأن المجتمع والنظام إلى زمن قريب كانا يتمتعان بهوية واحدة، وأغلبهم أصحاب وحدة فكرية مقاربة، والتغييرات التي حدثت يراها بعض أفراد المجتمع مفروضة من جهة واحدة وتلبي تطلعات خارجية لا داخلية، مما يجعل إمكانية نجاحها مستبعدة.

إن عملية التغيير يجب أن تراعي الذات الجمعية والأصول الدينية، وأن يقودها المجتمع مع النظام، حتى يشعر المجتمع بأنها منه وإليه، لا مفروضة عليه، أما أن يتبناها طرف بعينه، وبطريقة متسرعة ومتخبطة في نفس الوقت، فربما لن تكون الاستجابة لها بالشكل

36 محمد بن عبد الله السلومي، المجتمع السعودي والتغيير، تعليم البنات حالة دراسية، مجلة الأسرة، الرياض، 2016، ص 14-15.

المطلوب، خصوصاً أن المواطن أصبح لا يدري ما المسموح به رسمياً وما الممنوع، إضافة إلى أن هذه التغييرات صاحبته تغييرات عكسية ضد حق الرأي والتعبير، هذه الأمور وغيرها قللت من جدوى التغيير وإمكانيته بهذه الطريقة.

القبيلة والعادات والتقاليد

القبيلة لا تمثل حالة فطرية أو أزلية، فهي ظاهرة ذات تاريخ، بمعنى أنها ظهرت في مرحلة من تاريخ البشر، ووفق شروط محددة من حياتهم، وظهورها وزوالها مرتبط بالدرجة الأولى بمستوى تطور الإنتاج. والنظام القبلي شيء مرتبط بالتخلف والحياة البدائية أينما كانت، وليست له علاقة بالخصائص الطبيعية لأي شعب من الشعوب، فجميع شعوب العالم، الإنكليزي والفرنسي والروسي وغيرهم، كانت عبارة عن قبائل وعشائر قبل آلاف السنين، لكنها تجاوزت هذه المرحلة قبل قرابة 2000 سنة أو أكثر أو أقل من ذلك، وما يقوم به المستشرقون وعلماء الآثار الأوروبيون من أبحاث ودراسات عن بلدان الشرق وأحوالها، واهتمامهم بدراسة عادات القبائل وتقاليدها في هذه البلدان وفي أواسط إفريقيا، إنما يتضمن من بين أهدافهم الأساسية من وراء هذا أن يكتشفوا أنفسهم، وكيف كانوا يعيشون في أوروبا قبل آلاف السنين من خلال دراسة حياة هذه المجتمعات في الوقت الحاضر.

إن متغيرات الحياة الحاضرة؛ من اختلاف وسفر وظهور المدن وغيرها، تؤدي في نهاية المطاف إلى زوال القبيلة كمؤسسة، ولكن هذا لا يعني زوال الأفكار والمفاهيم والتقاليد القبلية، فهذه الأشياء تستمر طويلاً في عادات الناس ونظراتهم، وإذا تركت هذه المسألة للتأثيرات الحضارية وحدها وللتطور الطبيعي وحده، فإن هذا سيستغرق وقتاً طويلاً⁽³⁷⁾.

في السعودية لكل قبيلة عاداتها وأعرافها الخاصة، كما أن هناك عادات مشتركة لدى المجتمع السعودي، فمن هذه العادات ضيافة القهوة العربية وطريقة تقديمها؛ إذ تُصب القهوة باليد اليسرى، ويملاً الفنجان إلى ثلثه ثم يقدم باليد اليمنى، والنزول إلى مستوى الضيف حتى لا يعاني في التقاط الفنجان. وكذلك العود والبخور الذي يعد من سمات

37 إياد بن أمين مدني، مرجع سابق.

المنزل السعودي لما يتركه من أثر ورائحة طيبة، لذلك ينتشر استخدام العود والبخور بشكل كبير على الصعيد الشخصي وفي المناسبات. أما ما يتعلق بالأزياء فالرجال غالباً ما يلبسون قميصاً طويلاً مصنوعاً من القطن أو الصوف ويدعى الثوب، بالإضافة إلى الشماغ، وهو عبارة عن قطعة قماش مصنوعة من القطن ومخططة بالأحمر ويثبت على الرأس بالعقال الأسود، أما النساء فيلبسن الزي الإسلامي التقليدي للسعوديات؛ وهو عبارة عن غطاء أسود ساتر للجسم، ويسمى العباية، بالإضافة إلى غطاء الرأس الحجاب، وأحياناً النقاب⁽³⁸⁾.

وتعد الأمثال الشعبية حاضرة بقوة في مجتمع القبيلة، والتي منها: «برق بدارك، قبل ما تتهم جارك»؛ أي فتش بداخلك أولاً لتكتشف من هو وراء السبب الحقيقي، قبل أن تتهم الآخرين، وكذلك: «بسم الله على من راعك وأدخل الجني في كراعك»؛ وهو يقال بغرض السخرية من الأشخاص الذي يخافون من أشياء قد لا تسبب الخوف نهماً، وكذلك «البذر محفوظ»؛ ومعناه أن من فعل الخير فالله سوف يكافئه عليه أجراً مضاعفاً، ومن هذه الأمثال: «برد عليه جلده»؛ ويقال في حالة الشخص الذي ارتاح بعد تعب، أو إذا كان شخص قلقاً من شيء معين وسرعان ما اطمأن إلى هذا الأمر، ومنها: «وجهه مغسول بمرق»؛ وضرب هذا المثل للذي لا يستحي⁽³⁹⁾.

تشتهر القبائل السعودية بالرقصات المختلفة، والتي تصل إلى ما يقارب خمسين رقصة، والتي منها الرقصة الوطنية الشهيرة، وتسمى (العرضة)؛ وهي عبارة عن مجموعة من المغنين والراقصين يحملون السيوف في شكل دائرة، يتوسطهم شاعر، ثم رقصة (السامري)، وهي مثل سابقتها إلا أن الرجال يجثون على ركبهم ويتميلون مع الإيقاع، و(الدحة)؛ وهي عبارة عن رقصة تسمى رقصة الحرب، تمارس في المناسبات، وهناك غيرها من الرقصات ذات الثقافات المتداخلة.

38 منال أبو بكر، عادات وتقاليد المجتمع السعودي، المحيط، (5/8/2015)، تاريخ الاطلاع: <http://cutt.us/qCcq9>. (27/11/2018)

39 حنين كنعان، التراث السعودي ثقافة شعب تتوارثه الأجيال، موقع جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، (23/9/2018)، تاريخ الاطلاع: <http://cutt.us/tkhDj>. (23/11/2018)

تحضر القبيلة في السعودية في مسابقات الإبل والشعر وغيرها، صحيح أن بعض هذه المسابقات قد لا تنظمها القبيلة، وإنما تنظم رسمياً، لكن القبيلة تكون حاضرة وبقوة في سير هذه المسابقات، خاصة إذا كان التحكيم من الجمهور؛ فهنا تحضر كل قبيلة مدافعة عن أعضائها ومؤيدة لهم، سواء في مجال مسابقات الإبل أو في التقديم الشعري.

القبيلة والمرأة

في السعودية لا يبرز من النساء إلا القليل النادر، وخاصة في شؤون الحياة العامة التي تستبعد المرأة، ولا ترى لها أهمية في المشاركة العامة، مما جعل من وسائل التواصل الاجتماعي، وخاصة تويتر، متنفساً لأكثرهن.

إن مشكلة المرأة تكمن أكثر في العادات والتقاليد التي تعيق حركتها وحريتها، وعندما تغلف بعض هذه العادات بغلاف الدين أو القبيلة فإن هذا يعود بالأثر السلبي على هذه المكونات، إذ إن حالات التمرد، وإن بدت قليلة، تُشعر في بعضها نفوراً من الدين، وذلك ربما يعود للتسويق لبعض العادات والتقاليد باسم الدين، في حين أن تسويق بعض المظاهر الحديثة التي تتنافى مع قيم القبيلة قد يولد حالة من النفور المجتمعي، ومن ثم فإن مجتمعاً كالسعودية يتطلب حالة من التدرج فيما يتعلق بالتعامل مع المرأة.

المرأة السعودية تختلف عن غيرها من النساء في كثير من البلدان، فثمة فصل شبه كامل بين الجنسين، وتقييد لحرية الحركة، ووصاية مجتمعية على المرأة، كذلك ما يتعلق بالتعليم والسفر والمشاركة في الشأن العام، وتقليص أبسط الحقوق، وغيرها من القضايا التي تعد محل جدل كبير في الوسط الثقافي السعودي، هذا الجدل قد يتناول طبيعة هذه القضايا ويحاول التعاطف مع المرأة في تحقيق أبسط ما تطمح إليه، في حين يبحث آخرون في الجذور التي أسست لهذا الواقع، مع اتفاق الأغلب أن المرأة تعاني من ضالة حقوقها مقارنة ببقية الشعوب، فهل كانت القبيلة السبب الرئيسي في ذلك، أو أحد هذه الأسباب؟

يرى سعد الصويان ومحمد آل زلفة أن المرأة في ظل القبيلة، وقبل تأسيس الدولة، كانت تتمتع بمساحة كبيرة من الحقوق، مقارنة بالوضع الراهن، في حين يرى آخرون أن ما تعاني منه المرأة السعودية ما هي إلا انعكاسات لنظرة القبيلة إلى المرأة، وخصوصاً أن المجتمع ذو

بعد قبلي كبير، وهو المكون الاجتماعي الأكثر تأثيراً، ويذهب آخرون إلى تحميل المؤسسة الدينية نتائج ذلك، ويبالغ البعض بعزو ذلك إلى تأثيرات الصحوة، مع أنها جاءت متأخرة، وانحصر دورها في ترسيخ وتسويق خطاب ديني قائم.

مؤخراً استطاعت المرأة أن تحقق بعض المكاسب، كان من ضمنها تعيين سفيرة سعودية، وهي ربما بنت بندر، التي صارت سفيرة للسعودية لدى واشنطن، وهي أول مرة تتولى فيها امرأة سفارة بلادها لدى دولة أجنبية، كما دخلت ثلاثون امرأة سعودية عضوية مجلس الشورى، وتولت أخريات نيابة بعض الوزارات، أو رئاسة الاتحادات، مثل الأميرة بنت بندر، التي تعد أول رئيسة للاتحاد السعودي للرياضة المجتمعية، ثم نورة التركي، وهي أول نائبة لرئيس الاتحاد الرياضي للراية.

هذا التغيير في النظرة إلى المرأة، وتعيينها في مناصب قيادية في الدولة، والسماح لها بقيادة السيارات رافقه اعتقال مجموعة منهن، يحملن مطالب حقوقية، وأمر اعتقال المرأة لم يكن معهوداً في مجتمع كالسعودية، حيث يرى فيه البعض مخالفة لعادات القبيلة، ومن المفارقات في هذا الإجراء أن بعضاً منهن كن يحملن مطالب مشروعة، أدركها النظام واستجاب لها مؤخراً، كقيادة المرأة للسيارة، أو إنهاء ولاية الرجل على المرأة.

القبيلة والشيخ

لكل قبيلة من هذه القبائل شيخ، وهو قائد القبيلة والرمز الذي تجتمع حوله، وليس هناك نظام قبلي أو رسمي يحدد شروط اختيار شيخ القبيلة، فمنهم من يعين بعد وفاة أبيه، وقد لا يكون مؤهلاً لهذه الرمزية، ويلقى بعضهم معارضة في قبول المجتمع له، في حين قد يتوافق عليه أبناء القبيلة خصوصاً إذا كان يتمتع بصفات حسنة ومواصفات تؤهله لخدمة القبيلة، وقد يكون شاباً في بعض الأحيان كما حصل عند (بني قطبة) بمنطقة القصيم، عندما اختارت شيخها ابن الثلاثة والعشرين عاماً، خلفاً لوالده المتوفى في عام 2011.

ينقسم نظام مشيخة القبائل حسب الهيكلة المتبعة في أكثر القبائل إلى ثلاثة أقسام، شيخ الشمل وهو أعلى شخصية وتتبعه عدة قبائل، يليه شيخ القبيلة، وهو أقل رتبة منه، ثم يليهما نائب الشيخ أو المعرف، ولا يوجد شيخ عام لكل القبائل.

يتدخل النظام أحياناً في اعتماد شيخ القبيلة إذا حدث خلاف بينهم، وغالباً ما يحدث بعد وفاة الشيخ الأول. وقد يتعدد المشايخ حتى داخل القبيلة الواحدة، بل ودخل البلدة الواحدة، ومن ثم فإن الظهور الاجتماعي لشخص ما قد يكون له أثر في إضفاء صفة الشيخ لبعض الطامحين.

بدأت بعض القبائل تنحو منحى ديمقراطياً في اختيار شيخها، وخاصة القبائل الصغيرة، مثل قبيلة (آل عياش) في منطقة الباحة، التي أثرت الاتجاه نحو الانتخاب بعد خلاف بين المرشحين، وكذا قبيلة (بني عمر) بمحافظة المناص في منطقة عسير، في حين تشترط قبائل أخرى أن يكون الشخص المتقدم للمشيخة له سلف في ذلك، وقد يرفضون من يعتمد بخلاف هذا الشرط، كما حصل من أبناء قبيلة (آل يربوع) بمحافظة بارق في منطقة عسير في عام 2013، حيث رفضت شيخاً معيناً بحجة أنه ليس له سلف في ذلك، وطالبت بإعطائهم الحق في اختيار من يريدون.

لشيخ القبيلة دور في تعزيز الأمن والاستقرار، والإصلاح بين الناس، وأداء دور الشفيع في القضايا التي تمه أبناء القبيلة لدى الجهات الرسمية، أو تمثيل القبيلة عند القبائل الأخرى، خاصة عند نشوب خلاف أو خصام بين أحد أبناء قبيلته مع فرد من قبيلة أخرى، إضافة إلى مساعدة المحتاجين والمعسرين، ولكن هذه المهام تظل محصورة مقارنة بالسابق، لأن المؤسسات الرسمية قللت من دور شيخ القبيلة لكن لم تفقده رمزيته، فما تزال له كلمته في إطار القبيلة، ويستخدم ختمه لدى الجهات المختصة في التعريف والشفاعة وغيرها، لكن تظل مهامهم غير رسمية، إلا ما عدته الجهات الرسمية، حتى لا تتداخل مع مهامها.

القبائل السعودية ... نقاط القوة والضعف

يضم المجتمع السعودي عدداً كبيراً من القبائل ذات الشكل الهرمي الذي يبدأ بالوحدات البنائية الصغرى، ثم الأقسام القبلية الفرعية، ثم القبائل الرئيسية، ثم القبيلة الرئيسية الأم، ثم القبائل المنتمة إلى النسب نفسه كالعديانيين والقحطانيين، ثم القبائل المتحالفة كالاتحادات القبلية الكبيرة، مثل اتحاد حرب وعتيبة وزهران وشهران تحت اسم اتحاد شبابة.

تتميز القبيلة في السعودية بوجود عدد من القبائل الصغيرة المنضوية تحت قبيلة كبيرة،

ومن هذه القبائل قبيلة قحطان الكبيرة التي تضم (عسير وشهران وآل سليمان والمساردة والجحادل ويام)، وتنتشر في النماص والباحة وميسان قبائل (بني شهر وبالأسمر وغامد وزهران وبني مالك وحاتر)، وتضم الطائف ومكة والمدينة قبائل (قريش وهذيل وحرب وعتيبة ومطير وجهينة وثمر وعنزة وسبيع)، وبعضها له امتداد واسع يتجاوز مكة والمدينة⁽⁴⁰⁾، بل ويتجاوز السعودية إلى الدول الأخرى المجاورة.

أشهر القبائل السعودية

يواصل المهتمون بالشأن الاجتماعي السعودي عدد القبائل السعودية إلى اثنتين وسبعين قبيلة، وقد يوصلها بعضهم إلى مئة قبيلة⁽⁴¹⁾، وهي ما بين قبائل أصلية أو منحدره من قبائل أخرى، وهذا العدد ليس للقبائل الأصلية، إذ تعد محدودة، لكن هناك عوامل ساعدت في تقسيم هذه القبائل، ولعل من أهمها الحروب الداخلية التي تؤدي إلى انحسار كل مجموعة في جهة، إضافة إلى موت أحد زعماء القبيلة واختلاف أبنائه في وراثته، فيؤدي ذلك إلى استقطاب كل ابن لمجموعات محددة تنضوي تحت زعامته، فتتولد عن ذلك عدة قبائل، وما يهم هنا التعريف بأهم وأشهر عشر قبائل، مع تبيان نقاط القوة والضعف لكل منها، والعلاقة المتداخلة بينها في الداخل السعودي، أو مع الامتدادات البشرية لها في الجزيرة العربية وما جاورها.

أولاً: قبيلة قحطان

قحطان قبيلة تاريخية، بل هي أم القبائل العربية وأكبرها، وهي سبئية، ترجع إلى العصر الكندي، وتنتشر في المنطقة الجنوبية من شبه الجزيرة العربية والكويت وقطر، والجزء الأكبر من القبيلة يوجد في جنوب المملكة وجزء آخر في تهامة ونجد.

تنقسم قبيلة قحطان إلى ست عشرة قبيلة، تنتشر في الجزيرة العربية وما جاورها، وإليها تنسب كثير من القبائل السعودية، مثل ثمر التي تعد قريبة من آل مغيرة وآل كثير والفضول، وتلتقي معهم في طي، ثم قحطان، إضافة إلى قبيلة الدواسر وجهينة وغيرها.

40 محمد بن صنيان، مرجع سابق، ص 69-84.

41 مسعود ضاهر، مرجع سابق، ص 456.

من نقاط قوة هذه القبيلة كونها من أقدم القبائل السعودية وأعرقها، بل تعد أم القبائل، كذلك الفروع الكبيرة التي تنتمي إليها، فهذه القبيلة تنتمي أفرع عدة، مثل: شهران، وآل سليمان، والمساردة، والجحادل في نجد، وقبائل يام، إضافة إلى التلاحم والتعاون الذي يتميز به أبناء هذه القبيلة، ولكن توسعها أسهم في الحد من قوتها المعنوية، وذلك حين اكتسبت تلك الفروع الممتدة منها أسماء أخرى طغت على الاسم الأول واللقب الكبير.

ثانياً: قبيلة عتيبة

من أشهر القبائل السعودية وأعرقها، وهي تنتمي إلى قبيلة هوازن الشهيرة، وتتمركز في المناطق الوسطى من السعودية، وتمتد إلى نجد شمالاً وقرىب الحجاز شرقاً، وتصل أطرافها إلى الطائف ومكة، تنقسم قبيلة عتيبة إلى قسمين كبيرين، هما: برقا والروقة، ونتج عن هذين القسمين الكثير من الأفخاذ، فبرقا تضم المقطعة والنفعة والدهينة والعصمة ولكل فرع أقسام متعددة.

من نقاط قوة هذه القبيلة أنها عريقة في القدم ولها جذورها التاريخية، فهي ترجع إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن غيلان، وتعد كذلك أكبر قبائل نجد من حيث عدد الأفراد، ولها تاريخ في النضال والمقاومة.

ومن نقاط قوتها كذلك علاقتها القوية بالقبائل الأخرى، إذ إن القبيلة تحرص على تعزيز علاقتها بالقبائل الكبيرة، كقبيلة قحطان ومطير وغيرها، وزيارات ممثلها للقبائل تعد من مميزات القبيلة، إضافةً إلى الولاء القبلي داخل القبيلة، وتواجدها الواسع في مؤسسات الدولة.

أما نقاط ضعفها فمنها تمددها الواسع في أكثر من منطقة، وتناثر أفرادها في أكثر من مكان في السعودية، وهذا بدوره يلقي بظلاله على تلاشي الحس القبلي على المستوى البعيد نتيجة اختلاط أبناء القبيلة بالآخرين.

ثالثاً: قبيلة عنزة

مواطن قبيلة عنزة منطقة القصيم وأعالي نجد وسدير والعارض والصمان وضواحي

اليمامة ومناطق نعام والحائط والحويط وخيبر والعلا وتيماء وضواحي حائل وعرعر والجوف وطريف، وبقيت قبيلة عنزة في أواسط نجد زمناً طويلاً، ولكن بعد القحط الذي أصابها هاجر قسم كبير منها إلى الحماد وبادية الشام وقسم هاجر إلى العراق، وقسم بقي في أراضيه، ووصل قسم إلى الجولان وإلى لبنان، وبعد تقسيم الحدود بين الدول العربية أصبح القسم الأكبر بالخليج العربي، وبقي قسم في العراق وسوريا والأردن وفلسطين ولبنان ومصر وليبيا. وكانت عنزة تملك الإبل والحيل الأصيلة الكثيرة⁽⁴²⁾.

ومن نقاط قوة هذه القبيلة ما أصبح مشهوراً لدى المجتمع السعودي عن كرمها وشجاعته، إذ أصبح مشهوراً بين الناس أنه إذا كان جارك عنزياً يعني أن ترى الكرم أمامك، أن يكون جارك عنزياً معناه أن تنام هانئاً آمناً مطمئناً. كما تعد عنزة من أكبر القبائل العربية بشكل عام، وأكثرهم شجاعة، حتى اشتهر بين القبائل «كل قوم ولا عنزة»، ويعني ذلك أنه يمكن منزلة أي قبيلة ما عدا عنزة، لقوتها وكثرتها، كما أن القبيلة اشتهرت تاريخياً باقتفاء الأثر.

رابعاً: قبيلة حرب

تقع في منطقة الحجاز بين مكة والمدينة وعلى ساحل البحر الأحمر من جدة حتى ينبع، وهي من أكثر القبائل السعودية شهرة وعدداً ومساحة، لها فرعان؛ بنو سالم ومسروح، يحدها من الجنوب القنفذة حتى ينبع ثم المدينة بكاملها، وتنحدر على امتداد وادي الرمة ثم القصيم فحفر الباطن.

تتميز قبيلة حرب بعدد من نقاط القوة، لعل من أهمها علاقتها التاريخية مع حكومة المملكة العربية السعودية؛ إذ تعد القبيلة من أوائل القبائل التي شاركت مع سعود الأول في حروبه المتعددة، ومساحتها الواسعة وكثرة أفرادها حيث تعد أكبر قبائل السعودية، إضافة إلى حضورها الفني المتعدد، إذ تشتهر القبيلة بعروض فنية وحفلات شعبية؛ منها خبتي وحرابي ورديح والعرضة الحربية وزيد، كما أن للقبيلة تعاوناً مشتركاً وتنسيقات داخلية، منها

42 العربي الأصيل، قبيلة عنزة، (2/3/2015)، تاريخ الاطلاع: (11/2/2019).
<http://cutt.us/aJBGS>

ما يتعلق بالحد من مبالغات الديات، حيث أقرت القبيلة في عام 2013 وثيقة مشتركة للحد من مبالغات الديات والاجتهادات الفردية في ذلك، ووقع على هذه الوثيقة 320 شيخاً من شيوخ القبيلة.

ومن نقاط قوة القبيلة أنها حريصة على الظهور المدني أكثر، واستخدام لافتة القبيلة في أنشطة مدنية مثل تلك الأنشطة التي تنظمها منتديات شباب قبيلة حرب في السعودية والخليج.

وهناك كذلك نقاط ضعف في القبيلة منها أنها ليست على رأي مذهبي واحد، إذ إن هناك أفرعاً للقبيلة لهم علاقة بالمذهب الشيعي.

خامساً: قبيلة مطير

من أكبر قبائل شبه الجزيرة العربية ومن أكبر القبائل السعودية، وتنتمي لقبيلة غطفان العربية، تمتد منازلهم من شمال شرق السعودية إلى أطراف نجد، ولكن أفراد القبيلة موجودون في أنحاء الجزيرة العربية، بالإضافة إلى الكويت، ويعد بيت الدويش من أكبر البيوتات التي تنتسب للقبيلة، ومشايخ القبيلة أغلبهم من هذا البيت، سواء في السعودية أو في الكويت، وهناك زيارات متبادلة بين الفرع السعودي والكويتي وتعاون مشترك.

تنقسم القبيلة إلى ثلاثة أفرع كبرى هي: **بنو عبد الله وعلوى وبريه**.

وتعد هذه القبيلة من أكثر القبائل السعودية تماسكاً، كما أن لأفرادها اهتماماً كبيراً بالعلوم التقنية، وهناك مبادرات تشجيعية من القبيلة لطلابها المتفوقين تظهر في شكل احتفالات تكريمية وجوائز تشجيعية، كما أن لهم حضوراً عسكرياً واسعاً.

للقبيلة امتدادها الواسع خارج السعودية في العراق والكويت، ولها ثقلها السياسي في الكويت، واشتهرت تاريخياً بالقوة والشجاعة، وهي من أوائل القبائل التي استقرت استجابة لطلب الملك عبد العزيز آل سعود، وهذا يدل على أن القبيلة لها وعي حضاري مبكر، قادها للاستجابة لهذه الدعوة، وتوطين نفسها، وإنشاء القرى والديرات، وتعد من أكثر القبائل انفتاحاً وإدراكاً لمتطلبات الزمن، ووعياً اجتماعياً وسياسياً، ومع هذا يعد الترامي

الجغرافي الواسع للقبيلة من نقاط الضعف.

سادساً: قبيلة غامد

تعد قبيلة غامد من أعرق وأقدم القبائل السعودية، وتقع في منطقة الباحة جنوب غرب المملكة العربية السعودية، من رهوة البر شمالاً إلى قذانة جنوباً، كما أن في تهامة جبلاً مرتفعة يطلق عليها (فرعة غامد الزناد).

من أفرع القبيلة سعد مناة ومحمية ومالك وظيفيان، كما أن للقبيلة نشاطاً تجارياً واسعاً، ولهم كذلك اهتمام كبير بالتعليم، سواء في السعودية أو خارجها، كما أن لهم نظاماً اجتماعياً لحل قضاياهم، كالتعزير وهو عقوبة تعزيرية للمخالفات الكبيرة، والعقل أو المعدال من الأشياء الثمينة كالبندقية أو السيف أو الجنيبة والخنجر، يقدمها المتهم للمُحكّم للتحقيق فيما اتهم به، والخاتمة وهي ما تقدمه القبيلة كاعتراف بالجرم من أحد أفرادها، والفرقة وهي نوع من التكافل لمن أصيب بكارثة أو نحوها، وهذه النظم مطبقة غالباً في أكثر من قبيلة.

ويعد توزع أفراد القبيلة جغرافياً من نقاط ضعفها، وهذا التوزع جاء نظراً لارتباطهم بالوظائف العامة للدولة، وهذه قد تكون نقطة مشتركة بينها وبين أكثر من قبيلة.

سابعاً: قبيلة شمر

وتقع في حائل بالسعودية، بالإضافة إلى الكويت والعراق وسوريا والأردن والعديد من الدول العربية الأخرى، ويعيش العدد الأكبر من القبيلة في السعودية، تليها الكويت، ويوجد أفراد قلائل منهم في الإمارات وقطر والبحرين، ويعيش عدد آخر في شرقي وشمالي سوريا على الحدود مع العراق التي قدموا منها بعد ترحيلهم أيام الاستعمار البريطاني.

تنقسم القبيلة إلى ثلاثة أفرع رئيسية؛ وهي عبده والأسلم وسنجارة، تكونت هذه القبيلة قبل خمسة قرون نتيجة تحالف قبلي من عدد من القبائل، من نقاط قوتها تفرعاتها العديدة وانتشارها الواسع، سواء في السعودية أو خارجها، إضافة إلى الدور التاريخي للقبيلة على المستوى السياسي والاجتماعي، كما تعد قبيلة شمر من أكبر بطون طيء، ويشتهر أهلها بالكرم والنخوة والأخلاق والشجاعة والأخلاق، كما تشتهر نساؤها بالجمال.

ثامناً: قبيلة عسير

من أشهر القبائل السعودية وأعرقها وأكثرها استقراراً، ويسكنون في عسير جنوب السعودية، وتتكون هذه القبيلة من خمسة أفرع رئيسية؛ وهي: بني مغيد وعلكم وربيعة ورفيدة بني مالك ورجال ألمع، من نقاط قوة القبيلة تلاحمها وترابطها، وحرص أفرادها على التواصل، وتنظيم اللقاءات العامة لرموز القبيلة ووجهائها، فللقبيلة اجتماعات سنوية تتشكل في ملتقى سنوي تحضره وفود متنوعة من القبائل الخمس الفرعية، يعكس مدى تلاحم أبناء القبيلة وتكاتفهم، وفيه تلقى القصائد الشعرية والرقصات الشعبية، مثل العرضة والمعشى والسيف العزاوي، وهي عبارة عن رقصة حرية تلعب بالسيف والبنادق، هذا التراث يعاني من غربة لدى بعض أبنائه؛ وذلك يعود ربما لعدم الإمام الكافي بأصول انتسابهم لهذه القبيلة، وانعكس على الإمام بتاريخ القبيلة، وهذا يعد نقطة ضعف لدى القبيلة.

تاسعاً: قبيلة السهول

من القبائل النجدية العريقة التي شاركت في الدعوة الوهابية وتأسيس الدولة السعودية، وتستوطن نجد وتوجد وسط وغرب وشرق السعودية، وتنقسم إلى عشرة بطون وهي: (البرازات، والزقاعين، والصعوب، والظهران، وآل عبيد، والقبانة، والمحاذية، والمخلف، وآل محميد، وآل منجل).

وقبيلة السهول تعد من أكبر القبائل السعودية وأقدمها، وللقبيلة علاقة تاريخية بالنظام الحاكم في السعودية، كما أن للقبيلة اهتماماً بالتعليم وحرصاً على تكريم أبنائها المتفوقين علمياً في كل عام، وذلك من خلال لجنة التفوق العلمي لقبيلة السهول، وجائزة التفوق العلمي، وتعد قبيلة السهول من القبائل التي حافظت على مكانها الجغرافي القديم.

عاشرًا: قبيلة الدواسر

هي قبيلة همدان وأحلافها المتبقون، تقع في وادي الدواسر والأفلاج والبديع والسليل والخرج وسدير، بالإضافة إلى الكويت والبحرين والعراق وقطر والإمارات، وهم في السعودية والبحرين من أكبر القبائل وأشهرها، وتنتمي لها قبائل أخرى مثل تغلب وآل زايد وآل

جعيد، وللقبيلة اهتمام بالتعليم، ولها أنشطة دورية لتكريم المبدعين والمتميزين، منها جائزة الشيخ مران بن قويد للإبداع العلمي، كما أن للقبيلة مركزاً إعلامياً يكرم من خلاله المتميزون.

ويعد الانتشار الجغرافي أحد أهم نقاط الضعف التي تعاني منها قبيلة الدواسر.

العلاقات الداخلية والخارجية للقبائل

يتضح أن القبيلة السعودية لها عمقها التاريخي والجغرافي، كذلك لها حضور مجتمعي، سواء داخلياً في إطار القبيلة نفسها من خلال اللقاءات بين وجهاء القبائل، أو المهرجانات والاحتفالات التي تنظم بشكل دوري لتعزيز التلاحم والتعاون والتشجيع على التفوق والإبداع، أو خارجياً كالعلاقة بين القبيلة والقبيلة الأخرى من خلال الزيارات المتبادلة واستقبال وفود القبائل، إضافة إلى أن أغلب القبائل تحرص على أن يكون لها محفل سنوي تعرض فيه أمجادها كاحتفالات (مزاين الإبل)، التي حضرت بعد تغييب الدور الجماهيري للقبيلة، وكأنها حالة امتصاص للنخوة القبلية والشجاعة التي كانت تفرغ قديماً في الحروب والغارات بين القبائل المختلفة، أو هو مهرجان يجري من خلاله تعزيز الهوية القبلية.

كما أن استمرار القبيلة واستمرار قوتها ليس مرتباً في الأصل بمنصب شيخ القبيلة، صحيح أن شيخ القبيلة هو السلطة المنفذة للقانون القبلي بدعم من مجلس القبيلة، لكن هذا لا يعني بقاءه في منصبه، وتمتاز القبائل السعودية كذلك بنسب صريح يعود لمئات السنين، ولا يُنسب الوافدون إليها⁽⁴³⁾.

دور القبيلة يتجاوز الجغرافيا السعودية خصوصاً فيما يتعلق بزيارة وفود القبيلة لأختها المرتبطة بها في دول الخليج الأخرى، ولا تزال الزيارات المتبادلة، والتعاون والمصاهرة، حاضرة إلى اليوم، كما أن لكثير من هذه القبائل أنشطة مدنية وثقافية وتعليمية تكمن في المهرجانات والملتقيات والمسابقات وتشجيع المبدعين والمبرزين، وهذه الأنشطة وإن حملت اسم القبيلة إلا أنها ذات بعد مدني أكثر.

43 سعيد فالخ الغامدي، مرجع سابق، ص 34-36.

من الملاحظ أن هناك نقاط ضعف مشتركة؛ وهي تلك المتعلقة بتشتت أبناء القبائل أو تفرقهم بين أكثر من مدينة، وهذا البعد وإن بدا غير مؤثر على المستوى القريب، لاحتفاظ كثير منهم بالعادات والتقاليد التي توارثوها عن قبيلتهم، سيكون له الأثر على المستوى البعيد.

مستقبل القبيلة في السعودية

القبيلة كيان سياسي سبق نشوء الدولة الحديثة، وساعد في تأسيسها وبقائها وقوتها، ولا سيما في السعودية التي اتكأت كثيراً في تأسيس دولتها على القبيلة، وستظل القبيلة - في رأي بعض الدارسين والمهتمين - العنصر الرئيس للدولة في معظم المجتمعات العربية حتى يتطور مفهوم الدولة ويتواءم ومتطلبات حداثة الدولة والمجتمع.

باننتقال المجتمع من خشونة البداوة إلى رقة الحضارة، انتقل من مجتمع الحرمان الذي يشكل فيه التضامن والالتحام السلاح الوحيد والفعال في صراع الإنسان مع الطبيعة، ومع أخيه الإنسان من أجل البقاء، إلى مجتمع يغدو فيه الصراع لا صراعاً من أجل البقاء بل صراعاً من أجل الجاه المفيد للمال، وبعبارة أخرى إنه الانتقال من عالم تسود فيه المصلحة المشتركة، إلى عالم يطغى فيه نزاع المصالح الخاصة وتناقضاتها، وكما أن خشونة البداوة تنعكس آثارها على الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، فكذلك رقة الحضارة⁽⁴⁴⁾.

الحداثة والحد من ظاهرة القبيلة

تتميز القبيلة في السعودية بعوامل عدة منها، أنه ليس شرطاً أن يرتبط مفهوم القبيلة بالبدو والحياة البدوية، كما هي الفكرة السائدة لدى الكثير من الدارسين في ميادين الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع، وذلك لأن قبائل كثيرة لا تعيش حياة البادية التي من سماتها الرئيسية الاعتماد على الماشية أو ممارسة الرعي والترحال وغيرها من الخصائص البدوية، بل إن هذه القبائل عرفت حياة الاستقرار، ومارست الزراعة، وهو ما يجعلها تعيش حياة ريفية لا بدوية.

44 محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ص 235.

النزعة القبلية موغلة في نجد أكثر من الحجاز وغيرها من بقية المناطق، وذلك لأن الحجاز انفتحت منذ وقت مبكر على الجنسيات الأخرى، سواء تلك الزائرة أو التي استوطنت الحجاز، أما الأحساء والقطيف فإن الأمر القبلي يقل حدة إلى حد بعيد؛ نتيجة اتصالهم بالحضارة الهندية والفارسية، أما الجنوب فالنزعة القبلية موجودة، لكن القبيلة مستقرة نتيجة لاستقرار أمور المعيشة المتعلقة بالزراعة في أغلبها.

لقد تجاوز المجتمع السعودي البداوة كثيراً، لكن القبيلة لا تزال مؤثرة، وثقافتها ومظاهرها لا تزال موجودة وبصعب التخلص منها تماماً، لأن الدخول إلى الثقافة الجديدة يلقى رفضاً جمعياً؛ لأنه يتعارض مع الثقافة القديمة، ومن ثم فإن الثقافة القبلية غالباً ما تكون حائط صد أمام أي تحديث، سواء إيجابياً أو سلبياً، لأنه - حسب المتوقع - يكون للتعليم واتساع الثقافة والاختلاط بالجنسيات الأخرى دور في إذابة الكثير من العادات المجتمعية، وخصوصاً تلك المرتبطة بالقبيلة وخاصة ظاهرة الانتماء، إلا أن الذي حدث عكس ذلك تماماً؛ فقد زاد من تمسك المجتمع بالقبيلة والاحتماء بها ومحاولة الظهور الاجتماعي عن طريقها.

يظل أبناء القبيلة محافظين على جزء من ثقافتهم حتى ولو انتقل هؤلاء إلى جغرافيا أخرى لا تتبعهم، فالقبيلة في السعودية سكنت الحضر واختلطت بأهل المدن، لكن ظلت محافظة على جزء كبير من عاداتها وتقاليدها وخصوصيتها، حتى على مستوى النخب يرى الدكتور محمد بن صنيتان، في دراسته حول (النخب السعودية التحولات والإخفاقات)، أنها عامل يغذي أحياناً النزعات القائمة على التفاخر الإقليمي والمناطقية، والمفاضلة بين البدو والحضر⁽⁴⁵⁾.

القبيلة السعودية حاضرة في كل المستويات، وخاصة في التعريف المدني، وتحولت البطاقة الشخصية من بطاقة رسمية إلى بطاقة تثبت انتماء الشخص لقبيلته، وهذا ما جعل البعض يعاني في إثبات نفسه قبلياً قبل إثبات وطنه، ولهذا يعاني غير المنتمين للقبائل السعودية من حالة عدم اعتراف، سواء كان الاعتراف رسمياً أو شعبياً، فالبعض منهم سحبت هوياتهم

45 محمد بن صنيتان، النخب السعودية دراسة في التحولات والإخفاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 2005، ص 12.

التي أعطيت لهم أصلاً بناءً على تعريف من شيوخ القبائل، في حين ظل آخرون غير معترف بهم إلى الآن، وهذه من المسائل التي تتطلب حلولاً تتجاوز مسألة الاعتراف القبلي الذي لا دخل لهم به، لكونهم مواطنين وجدوا أنفسهم في جغرافيا الدولة.

ظل الخطاب الديني والحداثي مراعيًا لحساسية القبيلة، ولم يستطع أي منهما التعرض لبعض القيم المجتمعية التي قد تتعارض معه، بل ويستخدم أحياناً الخطاب الديني لتعميق بعض المظاهر القبلية أو تعزيزها، مثل العصبية والولاء والسلوك الجمعي وثقافة الممانعة، واستخدامها ضد مفاهيم المواطنة الحديثة، ولهذا يتقدم أحياناً الولاء القبلي على الولاء الديني والوطني.

استطاع التعليم أن يحدث بعض التهذيب للمنظومة القبلية، لكن لم يستطع تقويضها أو حتى تجاوزها، وأثرت هي الأخرى في المنظومة التعليمية؛ لأنها ظلت مراعية لهذا الواقع الذي لا يمكن تجاوزه، ومثل ذلك وسائل الإعلام المتعددة، مقروءة ومسموعة ومرئية، استطاعت هي الأخرى أن تغير بعض الشيء في الذهنية القبلية الجماعية، واستطاعت هذه الوسائل أن تراعي وضع القبيلة إلى حد ما، باستثناء الفترة الأخيرة التي حدث فيها ربما نوع من تجاهل هذا المكون دون مراعاة لطبيعته وأهميته.

وكما أن التعليم والإعلام يُضعف على المدى البعيد حضور القبيلة، فإنه في المقابل يرسخ هذه الانتماءات، فوسائل الإعلام تقدم إمكانات تواصل أفضل بين أبناء القبائل والطوائف، وتنتشر الآن في دول الخليج بشكل عام ظاهرة استعمال الكنية القبلية في الأسماء بشكل لا سابقة له⁽⁴⁶⁾.

القبيلة أساس الاستقرار الاجتماعي في الخليج العربي عموماً، وتحطيم القبيلة والتماثل مع الحياة الغربية القائمة على النزعة الفردية من شأنه أن يحدث إرباكاً حاداً للاستقرار الاجتماعي في المنطقة، ويفسخ وحدتها الاجتماعية⁽⁴⁷⁾، ودور الحداثة ينبغي أن يكون في

46 خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 1989، ص 173.

47 عايض مبارك الرشيد، القبيلة والدين في عملية الإصلاح السياسي في دولة الكويت خلال الفترة بين عامي (1991 - 2013)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم

حدود إذابة المظاهر السلبية التقليدية للإنسان الخليجي، مع الإبقاء على تلك العادات الحسنة للقبيلة، ففي إلغائها تقويض للبناء من أساسه واقتلاع له من جذوره، والعلاقة بين الحداثة والقبيلة تحتاج إلى ترشيد، بحيث لا تصبح القبيلة خصماً للحداثة ولا الحداثة خصماً للقبيلة.

الدولة والقبيلة صراع مع الذات أم توافق دائم

القبيلة- كما سبقت إليه الإشارة- كيان سياسي سبق نشوء الدولة الحديثة، وساعد في تأسيسها وبقائها وقوتها، وستظل القبيلة- في رأي بعض الدارسين والمهتمين- العنصر الرئيسي للدولة في معظم المجتمعات العربية حتى يتطور مفهوم الدولة ويتواءم ومتطلبات حداثة الدولة والمجتمع، أما في مجتمع كالسعودية، وخاصة في ظل الوضع الحالي، فإن البعض قد يرى الوضع مواتياً لتهديب دور القبيلة، والتقليل من نفوذها وتأثيرها المجتمعي، لكن هذا الرأي لا ينظر إلى البديل الذي يُطرح والذي ربما يؤجج القبيلة أكثر مما يذيب نعراتها، لأنها ترى في هذا البديل سلباً لمنظومتها الاجتماعية والثقافية وإذابة لمكتسباتها، التي أصبحت جزءاً من كينونتها.

من الأسباب التي حافظت على حضور القبيلة أكثر هو غياب الحزبية والعمل السياسي الحر في المجتمع السعودي؛ لأن البديل الأنسب للقبيلة في الدول الديمقراطية هو الحزبية، ففي ظل الحزبية الحقيقية يتلاشى دور القبيلة وتتهاوى أركانها، لأن فلسفة القبيلة أساساً قامت على الشعور بالخوف ورغبة الفرد في الاحتماء بالمجموع، فإذا وُجدت الدولة الحقيقية ذات النظام والقانون، والتي يأمن فيها المواطن على نفسه، ويجد فيها كامل حقوقه، تنتهي الحاجة إلى القبيلة، كذلك فإن تفعيل العمل الحزبي سيخفض الولاء للقبيلة ويوزعه بين القبيلة والحزب، ولكن مع ذلك فإن الدولة والحزب لا يضمنان ذوبان الدور القبلي بالكامل، على الأقل على المستوى القريب وفي مجتمع كالسعودية، لأن التكوين القبلي بناء يقوم عليه المجتمع الخليجي وسيظل، ولديه القدرة على تحديد مسار المجتمع وتكوين أنظمتهم.

القبيلة السعودية هي الطبقة الاجتماعية الأولى، ولها دورها الاقتصادي والاجتماعي، ولم تستطع التغيرات الاقتصادية والعلمية الحد من تأثيرها وحضورها إلا بدرجة بسيطة، ودور القبيلة يتلخص أكثر في الحضور الاجتماعي، وليس لها أي حضور سياسي إلا تلك المهرجانات والاحتفالات التي تقيمها بعض القبائل احتفاءً باليوم الوطني أو غيره من المناسبات التي تحمل في طابعها الولاء المطلق للنظام.

عامل آخر له أهمية في الحد من الحضور القبلي، ويقلل من طموح القبيلة، وهو- كما يصفه ابن خلدون- «حصول الترف أو انغماس القبيل في النعيم»، حيث يقول: «القبيلة إذا غلبت بعصبيتها بعض الغلب، واستولت على النعمة بمقداره، وشاركت أهل النعم والخصب في نعمتهم وخصبهم، وضربت معهم في ذلك بسهم وحصّة بمقدار غلبها واستظهار الدولة بها، فإن كانت الدولة من القوة بحيث لا يطمع أحد في انتزاع أمرها، ولا مشاركتها فيه أذعن ذلك القبيل لولايتها، والقنوع بما يسوغون من نعمتها ويشركون فيه من جبايتها، ولم تسم آمالهم إلى شيء من منازع الملك ولا أسبابه، إنما همتهم النعيم والكسب وخصب العيش والسكون في ظل الدولة إلى الدعة والراحة، والأخذ بمذاهب الملك في المباني والملابس، والاستكثار من ذلك والتأنق فيه بمقدار ما حصل من الرياش والترف، وما يدعو إليه من توابع ذلك، فتذهب خشونة البداوة، وتضعف العصبية والبسالة، ويتنعمون فيما آتاهم الله من البسطة، وتنشأ بنوهم وأعقابهم في مثل ذلك من الترفع عن خدمة أنفسهم، وولاية حاجاتهم، ويستنكفون عن سائر الأمور الضرورية في العصبية، حتى يصير ذلك خلقاً لهم وسجية، فتنقص عصبيتهم وبسالتهم في الأجيال بعدهم»⁽⁴⁸⁾، ومع التسليم بما قاله ابن خلدون فإن هذا الرأي يظل محصوراً بالنعيم وحده في ظل دولة قوية مليية للطموح المعيشي للأفراد، لكن في واقع المجتمع السعودي فإن العملية ستكون عكسية تماماً، خصوصاً إذا انضمت إليها عوامل أخرى، مثل التعليم، والانفتاح على المجتمعات الأخرى، واستئثار النخب بالسلطة والثروة، هذه العوامل مجتمعة تؤدي إلى ارتفاع مستوى الطموح لدى القبائل، والشعور بالغبين لأنهم أحد مكونات هذه

48 عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، سوريا، الطبعة الأولى، 2004، ص 274.

المنظومة، مع ملاحظة أن هذا الطموح تختلف نسبته بين الدول الملكية والجمهورية، ففي الأولى يتدنى؛ بحكم طبيعة النظام الملكي وشبهه بالقبيلة إلى حد كبير.

استطاعت حكومة المملكة العربية السعودية خلال الفترة الماضية أن توازن علاقتها بالقبيلة باستثناء ظروف التأسيس التي قامت على مواجهات مسلحة مع عدد من القبائل، كقبيلتي عتيبة ومطير، استطاع النظام فيما بعد أن يخضعها لسلطة المركز، وما تلا ذلك من مصالحات وامتيازات مالية تنظر إليها القبيلة على أنها تعويض عما لحق بها، وتسمى (الشهات)، يذهب جزء منها للفقراء منهم، والمصاهرة بين رموز القبائل وبعض أفراد الأسرة الحاكمة، وتوظيف أبنائهم في المؤسسات المدنية والعسكرية كالحرس الوطني، وتعيين بعض الأفراد في مناصب وزارية، كل ذلك في إطار التحالف بين الدولة والقبيلة، هذا إلى جانب تلك القبائل النجدية التي تعد شريكاً في قيام الدولة، ساعد على ذلك الطفرة النفطية، والدخل المالي الواسع من ورائها، إضافة إلى كثرة الأمراء وسيطرتهم على المفصل الهامة في الدولة والمناطق القوية.

بعد عام 2017 طرأت تغييرات سياسية في السعودية، انعكست بشكل مباشر على الشأن الاجتماعي، وخصوصاً على المؤسسة الدينية والقبيلية، فبعد أن كانت الأنظمة السعودية السابقة تنظر إلى الأسرة على أنها مالك للحكم، وإلى قبائل نجد، كآل الثنيان وآل جلوي وآل فيصل أحفاد تركي الفيصل الأول، على أنهم شركاء في بناء الدولة، وإلى القبائل الأخرى على أنهم حلفاء، يبدو أن هناك تغير طارئ، خصوصاً بعد اعتقال جزء من الشركاء والحلفاء، مع تخفيض الامتيازات التي تستلمها القبائل، وتقليص دور الحرس الوطني الذي تأسس بداية من أبناء القبائل، سحب هذا كله سعي لتهميش القبيلة والاكتماء بحضورها على مستوى الشعر ومسابقات الإبل، مع استخدام بعضها في إذكاء وتأجيج صراعات داخلية وأخرى خارجية.

تعي القبيلة جيداً تلك الإجراءات التي تجري لمصلحة الدولة سعياً منها إلى بناء النظام والقانون الذي يتساوى فيه الجميع، وتسعى إلى تفهمها والقبول بها، على الأقل على المستوى البعيد، إذا سحب ذلك توعية سياسية وإصلاحات داخلية، لكن توجس القبيلة من أن ما يحدث إنما هو من أجل تأسيس نظام يرتكز على سلطة الفرد، ربما لن يكون

مرحباً به، خصوصاً إذا تأسس تحالف بين الشركاء والحلفاء، على الأقل للمقيمين في الخارج، لأن الشعور بالخطر قد يدفعهم إلى تحالف من هذا القبيل، وإذا انضمت إليهم المؤسسة الدينية التي تشعر هي الأخرى بخطورة الوضع، وتعد نفسها شريكاً رئيسياً في النظام القائم، وتعرض لما تتعرض له القبيلة وأشد، فلن يكون الأمر لمصلحة المملكة العربية السعودية.

للقبيلة سمات وخصائص، كما أن عليها واجبات ووظائف، وقد تنازلت القبيلة عن بعض من ذلك للدولة، لتمارس هي الأخرى دور القبيلة وأكثر، وما بقي للقبيلة يكمن في قيمتها الاعتبارية وعاداتها الداخلية وعلاقتها بالقبائل الأخرى، أما تلك الوظائف التي كانت تتمثل في الغزو كطريقة لتأمين الرزق، أو الارتحال بحثاً عن الكلاء، فلم تعد ممكنة، ففي الأولى حلت المناورة السياسية والقدرة على انتزاع الحقوق محلها، وفي الأخرى تكفل الدولة بتوفير سبل العيش وتنظيم ذلك، مع الاحتفاظ للقبيلة بقيمتها الاعتبارية وبقائها المعنوي حليفاً لا تابعاً.

إن الدولة لن تستطيع إلغاء القبيلة عموماً، كما أن القبيلة لن تستطيع إلغاء الدولة، وذلك ربما يعود لطبيعة الدولة نفسها، والتي هي عبارة عن دولة قبلية، وعلاقتها بالقبيلة كعلاقتها بنفسها، والصراع بينهما لن يتعدى كونه صراعاً ذاتياً، يصعب معه أن ينهي أحدهما الآخر إلا إذا تغيرت المنظومة نفسها، وتغير شكل الدولة إلى شكل آخر يذوب معه الولاء القبلي، ويحل بدلاً عنه الولاء الوطني والحضور الحزبي الذي يتجاوز الإطار الجغرافي، كما أن النظام الحالي تسهل عليه عملية تهذيب القبيلة وترشيدها؛ لمعرفة بتفاصيلها وتمكنه من طبيعتها، إضافة إلى إمكانية توظيف القبيلة ومشيختها في حفظ الأمن والاستقرار، وهذا يتطلب من حكومة المملكة العربية السعودية الاستمرار في التعامل مع القبيلة على أنها حليف، وخصوصاً أولئك الذين لا يزالون في المعتقلات، وهم وإن كانوا أصحاب ميول أخرى، فإنهم ينحدرون من قبائل سعودية، إضافة إلى أن بعضهم له رمزية خاصة في القبيلة، وهذا يستدعي مراجعة جادة لهذا الموضوع، مراعاة لظاهرة القبيلة التي تعد المكون الأكبر اجتماعياً، كما أنها أحد دعائم النظام الحالي، وإليها استند في بناء الدولة السعودية بمراحلها الثلاث.

العادات والتقاليد الضامن الأكبر للحضور القبلي

ظلت القبائل السعودية محافظة على العادات والتقاليد وتراها جزءاً من كينونتها التي لا تتساهل في التنازل عنها، حتى أولئك الذين انتقلوا إلى خارج جغرافية قبيلتهم، أو سكنوا المدن الأخرى بحكم العمل أو غيره، بقيت العادات والتقاليد التي ورثوها حاکمة لتصرفاتهم. ويظل الإنسان القبلي محافظاً على لقبه القبلي حتى بعد انتقاله إلى بيئة أخرى، حتى صار اللقب القبلي عقدة عند البعض لا يمكن تجاوزها، وهذا أحد الأسباب التي جعلت تلك الأسر التي وجدت نفسها في السعودية ولم تعرف إلى أي قبيلة تنتمي، أو أولئك الذين هاجروا إلى السعودية في القديم واستقروا بها، هذا ما جعلهم يشعرون بالظلم والغبن، وخاصة عند تداول مصطلحات من قبيل (القبيلي والخضيري).

القبيلة تنظر إلى الوراثة أكثر من نظرها إلى الأمام أو المستقبل، وتستحضر دائماً أجدادها وتقاليد آبائها ومنجزات أجدادها، كما أن القبيلة تفرض قيوداً على حدود تفكير أفرادها، لأن الإنسان القبلي وجد نفسه قادراً في إطار منظومة لا يستطيع تجاوزها، وبهذا استطاعت أن تحافظ على الذهنية القبلية عند كثير من أبنائها، وستظل محافظة على كثير من عاداتها وتقاليدها، لأنها جزء من ذاتها التي لا تعرف إلا بها.

عملية التحديث التي تعيشها المملكة العربية السعودية حالياً أدت إلى خلخلة بعض العادات والتقاليد القبلية، وهذا بدوره قد يولد ردة فعل عكسية تشبث بالتراث الديني والقبلي بشكل كبير، لأن أي خطوة لا تكون مدروسة في التعامل مع القبيلة تُشعرها بالخوف، وعند الشعور بالخوف تظهر الرغبة في العودة إلى أحضان القبيلة والاحتواء بها.

الانتشار الجغرافي للقبيلة

للكثير من القبائل السعودية ارتباط خارج الجغرافيا السعودية؛ في بقية الدول الخليجية وقد تتعداها إلى اليمن والأردن والعراق وسوريا ومصر والسودان، والسبب هو هجرة جزء من القبيلة من موطنها الأصلي إلى الموطن البديل؛ إما بحثاً عن الرزق أو خوفاً من الاعتداءات التي سادت سابقاً، أو ترسيم الحدود مع الدول المجاورة، فقد يكون جزء من القبيلة في دولة وآخر في دولة أخرى. ولا تزال العلاقة متماسكة بين أغلب القبائل

السعودية وأفرعها في بقية دول الخليج إلى الآن، بل إن هناك علاقات مصاهرة ولقاء وزيارات متبادلة وتعاون مشترك، ولا تزال هناك عادات مشتركة بينهم إلى الآن.

ومع استمرار العلاقة بينهم، والمحافظة على مكتسبات كثيرة من تراثهم وعاداتهم وتقاليدهم، فإن الوعي القبلي لن يكون كما لو كانوا في مربع القبيلة الجغرافي، أو على الأقل في إطار دولة واحدة، فعامل الانتشار والاختلاط بقبائل أخرى يؤثر على المدى البعيد، وقد يلغي القبيلة معنوياً، كما حاول إلغائها جغرافياً.

الخاتمة

تعددت تعاريف القبيلة، وتنوعت زوايا النظر إليها، نتيجة لأسباب مختلفة لعل منها الخلط بين القبيلة والإثنية أو الربط بين القبيلة والبدو، إضافة إلى تعدد وظائف القبيلة، والنظر إليها من زاوية واحدة، ولهذا كان من الأهم بعد التعريف بالقبيلة النظر في خصائصها ومميزاتها، كتوفر المكونات الرئيسية؛ من مكان ولغة وهوية وحضارة، وتماسك أبنائها وتقارب أنسابهم، وبساطة التركيب، مع النظر في الفلسفة المنشئة للقبيلة التي تعود إلى الشعور بالخوف والحاجة، مع غياب الكيان السياسي الذي يمكن أن يحتموا به، فألجأهم ذلك إلى الالتحام والدفاع عن أنفسهم.

تظل القبيلة في السعودية المكون الاجتماعي الأكبر، ذات الحضور المجتمعي الأوسع، والبعد التاريخي العريق، وكان لها أدوار متعددة في مختلف المجالات؛ اجتماعياً وتجارياً، وجاء الإسلام فأحدث تحولاً واسعاً في حياة العرب، ومن هذا التحول تهذيب دور القبيلة وترتيبها، وفي مجتمع كالسعودية تعد القبيلة المكون الاجتماعي الأكبر، ولها حضور اجتماعي واسع، وعلاقة قوية بحكومة المملكة العربية السعودية، لأنه جزء منها استطاع توحيدها في إطار واحد ليكون ما يشبه دولة القبيلة.

للقبيلة دور كبير في تثبيت أركان حكومة المملكة العربية السعودية، وهذا ما أكسبها قوة لدى النظام، واستمرت من خلاله الأعطيات والامتيازات التي يصرفها لرموز القبائل، وتجنيدهم كثير من أبناء القبائل في جهاز الحرس الوطني، لكن هذا الدور تقلص فجأة بفعل التغييرات السياسية التي حدثت في السعودية، كما أن للأحداث الأخيرة دوراً في خلخلة

النسيج الديني والقبلي والمدني على السواء، وهذا الإجراء ربما سيولد حالة من الاحتماء القبلي أكثر، والارتقاء في أحضان القبيلة من جديد، لأن حالة الإحباط السياسي تجعل إنسان القبيلة يعود إلى الخيار القبلي كبديل، وخاصة عند الشعور بالخطر.

القبيلة في السعودية ذات ارتباطات متعددة، وجل القبائل لها امتداداتها الجغرافية والبشرية خارج السعودية، واستعداد القبيلة أو استدعاؤها في خلافات داخلية أو خارجية سيعيد الأمور إلى ما كانت عليه، لأن لكل قبيلة عداوات تاريخية مع غيرها، وإذكاء النعرات القبلية وإقحامها في خلافات سياسية ستكون نتائجها كارثية على الجميع، كما أن تغيير استراتيجية التعامل مع القبيلة من شريك وحليف إلى تابع ستكون نتائجه كذلك كارثية.

للقبيلة في السعودية دور هام، وخاصة في الصلح الاجتماعي؛ فلكل قبيلة نظام صلح اجتماعي، سواء داخل القبيلة، أو بينها وبين القبائل الأخرى، إضافة إلى وجود عدد من العادات والتقاليد، خاصة وعمامة، إيجابية وسلبية، وعلاوة على دور القبيلة القيمي والأخلاقي، فإن من أهم خصائص القبيلة العصبية، وهذا ما ألقى بتبعاته على المجتمع السعودي الذي كان محطة لطلاب العلم وملجأ للمهاجرين وقبلة للمسلمين، فاستوطنه آخرون أصبحوا منه وفيه، مما أدى إلى تمسك كل قبيلة بنسبها، وأحدث حالة من الفصام المجتمعي بين (القبلي والحضيري) وهذا لن يخفف من أثره إلا الوعي بقيم الإسلام العليا، ومبادئ المواطنة المتساوية، بصفتها أهم مقوم من مقومات الدولة، ولعل الابتعاث الطلابي سيسهم كثيراً في هذا الترشيح.

إن تطوير الدور القبلي في المجتمع السعودي وتهذيبه أكثر، يتطلب معرفة الطريقة التي تعمل بها كل قبيلة، وهذا سيمكن من إيجاد الوسيلة والصيغة الأفضل للتعامل مع القبيلة، سواء في إطار التطوير أو الاحتواء، ومما يساعد على ذلك انتقال كثير من المنتسبين للقبائل إلى مدن مختلفة فابتعد بعضهم عن بعض، وهذه العملية صحيح أنها أذابت بعضاً من النعرات القبلية، إلا أن الرابط الشعوري ظل موجوداً وإن اختفى الرابط الجغرافي، ويمكن القول إن هذا الانتقال من العوامل التي خففت من تأثيرات القبيلة، وسيزداد تأثيرها أكثر إذا فعل دور المجتمع المدني، وأتيح المجال لإحلال مؤسسات مدنية تشغل المساحة التي تغطيها القبيلة، وأخرى سياسية كبداية للمكونات القبلية.

المراجع

الكتب والمجلات:

- جوزيف كوستنر، العربية السعودية 1961 - 1936 من القبيلة إلى الملكية، ترجمة شاعر سعيد، مكتبة مدبولي، القاهرة، د.ت.
- حلیم بركات، المجتمع العربي في القرن العشرين بحث تغير الأحوال والعلاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الأولى، 2000.
- خلدون حسن النقيب، المجتمع والدولة في الخليج والجزيرة العربية من منظور مختلف، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 1989.
- خلدون حسن النقيب، في البدء كان الصراع ... جدل الدين والإثنية الأمة والطبقة عند العرب، دار الساقى، لبنان، الطبعة الأولى، 1997.
- سعد القحطاني وآخرون، التحول المدني في السعودية دراسة في المقومات والمستقبل، مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات، إسطنبول، الطبعة الأولى، 2018.
- سعيد فالح الغامدي، البناء القبلي والتحضر في المملكة العربية السعودية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، الطبعة الخامسة، 1990.
- عبد الرحمن بن محمد بن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، سوريا، الطبعة الأولى، 2004.
- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الرابعة، 2003.
- عبد الله الغدامي، القبيلة والقبائلية أو هويات ما بعد الحداثة، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الثانية، 2009.
- علي الحربي، العصبية القبلية سلوك فردي أم ظاهرة اجتماعية سياسية، أكاديمية الدراسات الإسلامية، قسم التاريخ والحضارة، ماليزيا، د.ت.

- غانم النجار، القبيلة والدولة في الكويت والجزيرة العربية، جامعة الكويت، قسم العلوم السياسية، 1996.
- فايد العليوي، القبيلة.. التكوين في سياق سياسي، المركز الثقافي للكتاب، المغرب، الطبعة الأولى، 2018.
- محمد المانع، توحيد المملكة العربية السعودية، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، د.ت.
- محمد بن صنيتان، السعودية.. السياسي والقبيلة، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2008.
- محمد بن صنيتان، النخب السعودية دراسة في التحولات والإخفاقات، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة الثانية، 2005.
- محمد بن عبد الله السلومي، المجتمع السعودي والتغيير، تعليم البنات حالة دراسية، مجلة الأسرة، الرياض، 2016.
- محمد عابد الجابري، فكر ابن خلدون العصبية والدولة معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، الطبعة السادسة، 1994.
- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الأولى، 2002.
- مسعود ضاهر، المشرق العربي المعاصر من البداوة إلى الدولة الحديثة، معهد الإنماء العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1986.
- المولدي الأحمر، راهن القبيلة في العالم العربي، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد (15)، شتاء 2016.
- يعقوب يوسف الكندري، القبيلة والمفاهيم السياسية في المجتمع الخليجي المعاصر، مجلة عمران للعلوم الاجتماعية والإنسانية، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،

الدوحة، العدد (15)، شتاء 2016.

الرسائل الجامعية

- حمد بن حيدان بن فهد القحطاني، دور الأعراف والتقاليد في حل النزاعات القبلية، رسالة ماجستير بكلية الدراسات العليا، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2008.
- عايض مبارك الرشيد، القبيلة والدين في عملية الإصلاح السياسي في دولة الكويت خلال الفترة بين عامي (1991 - 2013)، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب والعلوم، قسم العلوم السياسية، 2014.

المواقع:

- إياد بن أمين مدني، مفهوم القبيلة فكرة رومانسية عن الصحراء أم مؤثر سلبي في التنمية، الحياة، (2012/11/15)، تاريخ الاطلاع: (2019/2/18).
<http://cutt.us/BfN3v>
- حمد محمد الشدادي، القبيلة ودورها الوطني من منظور أمني، الوثام، (2016/11/6)، تاريخ الاطلاع: (2019/2/7).
<http://cutt.us/x2TLW>
- حنين كنعان، التراث السعودي ثقافة شعب تتوارثه الأجيال، موقع جامعة العين للعلوم والتكنولوجيا، (2018/9/23)، تاريخ الاطلاع: (2018/11/23).
<http://cutt.us/tkhDj>
- شاعر النابلسي، خصوصية المجتمع السعودي التاريخية، الوطن أونلاين، (2018/1/26)، تاريخ الاطلاع: (2018/1/22).
<http://cutt.us/PpYVc>
- طراد بن سعيد العمري، عن القبيلة والدولة أحدثكم، الحياة، (2014/7/20)، تاريخ الاطلاع: (2019/1/22).
<http://cutt.us/Aw0Yj>
- عبد الله حمودي، الداخلي والخارجي في التنظير للظاهرة القبلية، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، العدد (19)، 2017.
<http://cutt.us/Qn1Z2>

- عبد المولى بايي، مفهوم القبيلة، موقع مغرس، (2011/6/4)، تاريخ الاطلاع:
<http://cutt.us/v7bAm> .(2019/1/9)
- العربي الأصيل، قبيلة عنزة، (2015/3/2)، تاريخ الاطلاع: (2019/2/11)،
<http://cutt.us/aJBGS>
- مرتضى السيد، دور القبيلة ومستقبلها في المملكة العربية السعودية، شؤون سعودية،
تاريخ الاطلاع: (2019/1/24). <http://cutt.us/vRTI2>
- مشاري بلغنيم، المجتمع السعودي: قضايا اجتماعية مسكوت عنها، العربية،
(2013/5/25)، تاريخ الاطلاع: 2019/7/18. <http://cutt.us/UAyw3>
- منال أبو بكر، عادات وتقاليد المجتمع السعودي، المحيط، (2015/8/5)، تاريخ
الاطلاع: (2018/11/27). <http://cutt.us/qCcq9>



مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات Strategic Fiker Center for Studies

مركز مستقل غير ربحي، يُعدّ الأبحاث العلمية والمستقبلية، ويساهم في صناعة الوعي وتعزيزه وإشاعته من خلال إقامة الفعاليات والندوات ونشرها عبر تكنولوجيا الاتصال، إسهاماً منه في صناعة الوعي وتعزيزه وإثراء التفكير المبني على منهج علمي سليم

الرسالة

المساهمة في رفع مستوى الوعي الفكري، وتنمية التفكير الاستراتيجي في المجتمعات العربية

الأهداف

- الإسهام في نشر الوعي الثقافي.
- قياس الرأي العام إقليمياً ودولياً تجاه قضايا محددة.
- التأصيل العلمي للقضايا السياسية المستجدة.
- مواكبة المتغيرات العالمية والعربية، من خلال إعداد الأبحاث وتقديم الاستشارات.

الوسائل

- إعداد الدراسات والأبحاث والاستشارات والتقارير وفق منهجية علمية.
- التواصل والتنسيق مع المراكز والمؤسسات البحثية العربية والعالمية.
- تناول قضايا التيارات الفكرية المتنوعة بما يؤصل لضروريات التعايش السلمي، والمشاركة الفاعلة.

- إقامة المؤتمرات والندوات الفكرية وحلقات النقاش.

- رعاية الشباب الباحثين المتميزين.

مجالات العمل

تتنوع مجالات العمل في المركز وتشمل ما يلي:

1. الأبحاث والدراسات:

حيث يقوم المركز على إعداد الدراسات والأبحاث وفق المنهجية العلمية في مجالات تخصص

المركز، وهي:

- الدراسات السياسية.
- الدراسات المتخصصة في التيارات الإسلامية والفكرية.
- الدراسات الحضارية والتنمية.
- دراسات الفكر الإسلامي.

2. الاستشارات وقياس الرأي:

يسعى المركز لتقديم الاستشارات والحلول في مجالات اهتمام المركز للجهات الرسمية والأهلية، وذلك من خلال قياس الرأي العام تجاه القضايا الفكرية والأحداث السياسية والاجتماعية، بالتعاون مع كادر علمي مُحترف ومُتعدّد المهارات.

3. النشر:

يسهم المركز في نشر الدراسات والأبحاث عبر وسائل النشر المتنوعة.

عضوية المركز في المنظمات العالمية:

MMIRA Mixed Methods
International Research Association

WAPOR
WORLD ASSOCIATION FOR PUBLIC OPINION RESEARCH

GlobalResearch
Centre for Research on Globalization
globalresearch.ca / globalresearch.org



TTCSP
THINK TANKS AND CIVIL SOCIETIES PROGRAM
UNIVERSITY OF PENNSYLVANIA

مركز الفكر الاستراتيجي للدراسات
Strategic Fiker Center for Studies

   fikercenter

+90 535 320 46 03
+90 212 7077 79

info@fikercenter.com
publish@fikercenter.com

